تطويب القديس هيوج أسقف لنكولن

وجرى في هذا العام نفسه تطويب هيوج أسقف لنكولن من قبل البابا هونوريوس، وجرى قبوله في تعداد القديسين، وتم في البداية البحث في معجزاته من قبل ستيفن رئيس أساقفة كانتربري، وجون راعي ديرة النبع، ووضعت محصلات ذلك في الشهادة التالية الصادرة عن مولانا البابا: «من هونوريوس الأسقف، عبد عبيد الرب، إلى جميع أولاده المحبوبين والمؤمنين بالمسيح، وإلى الذين سوف تأتي هذه الهدية إليهم بمثابة صحة ومباركة رسولية، فقد عينت الرحمة الربانية مكان هناءة في السماء إلى قديسيها ونخبتها، وفي وقت وجودهم على الأرض شرفتهم بالمعجزات، حتى يمكن إثارة خشوع المؤمنين بذلك من أجل التماس شفاعتهم، وبناء عليه، دوّنا بين أعداد القديسين، هيوج أسقف لنكولن، صاحب الذكرى المقدسة، التي هي واضحة وبينة بالنسبة إلينا، ولذلك حولتها الفضيلة الربانية مشهورة واضحة بوساطة عدد من معجزاته المجيدة، التي وقعت أثناء حياته، وبعدما لبس ثوب الموت، ونحن نأمر، وباسم الرب نحث جميع الرهبان لديكم لأن يلتمسوا بخشوع وساطته مع الرب، وبالاضافة إلى هذا نحن نأمر، أنه يتوجب اتخاذ يوم منذ تاريخ وفاته يكون عيداً له يحتفل به بشكل مهيب في كل سنة من الآن فصاعدا. صدر في فيتيربو في السابع عشر من شهر شباط، في السنة الرابعة من بابويتنا».

الاستيلاء على قلعتي ساني وروكنغهام

في هذا العام نفسه، وفي يوم عيد الرسولين بطرس وبولص (٢٩ -حزيران) استولى الملك هنري فجأة على قلعتي: روكنغهام Raching-ham وساني Sanney، على الرغم من ارادة وليم ايرل ألبيمارل Albe-marle وعندما وصل الملك المذكور إلى القلعتين لمهاجمتهما وجدهما فارغتين من جميع أنواع المؤن، حتى أنه لم يكن بهما معا ثلاثة أرغفة من

الخبز.

نقل القديس توماس رئيس أساقفة كانتربري

وفي العام نفسه، وفي اليوم التالي لثمانية القديسين بولص وبطرس، جرى اخراج جسد القديس توماس الشهيد ورئيس الأساقفة من ضريحه الرخامي، وتولى اخراجه ستيفن رئيس أساقفة كانتربري بحضور الملك، وتقريبا جميع الأساقفة، ورعاة الديرة، ورؤساء الرهبان، والايرلات، والبارونات في المملكة، ثم وضع بتشريف لائق في تابوت جرت صناعته بشكل متقن بالذهب والجواهر وكان حاضراً أيضاً أثناء عملية النقل: رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورعاة الديرة، ورؤساء الرهبان، وعدد كبير آخر من المملكة الفرنسية، ومن بلدان أخرى متعددة، لأنهم تشوقوا للاجتماع وحضور هذه المناسبة المهيبة كثيراً، لأنهم اعتقدوا أنه واجب عظيم القيام بتشريف وتبجيل هذا الشهيد المقدس في سبيل المسيح، وهو الذي سفك دمه من أجل الكنيسة المسكونية وقاتل دون توقف في سبيل ديمومتها.

حصار قلعة بيهام والاضطرابات في المملكة

عام ١٢٢١م، فيه عقد الملك هنري بلاطه في اكسفورد يوم عيد الميلاد، وقد شهد ذلك ايرلات وبارونات المملكة، وفي هذا المكان، بعد إقامة الطقوس والقداسات الملكية بنجاح وسلام، وزع بكرم على الجميع كل حسب استحقاقه، وفقاً للعادة القديمة للملكة، وقد رغب - على كل حال -وليم دي فوريت Foret [إيرل أوف ألبيمارل -Albe marle] أن يعكر صفو الهدوء في المملكة، فغادر دون أن يستأذن، وفعل ذلك في الليلة التالية وزحف بكل سرعة إلى قلعة بيهام Biham، حيث حشد بعد عدة أيام بعض العساكر، وهاجم بلدة تينهام -Ten ham ونهبها، وأخذ معه القمح العائد إلى كهنة برايدلنغتون -Bridling

ton إلى قلعة بيهام، كما أنه نهب بلدة ديبنغ Deping وأماكن أخرى في الكونتية نفسها واتخذ السكان أسرى، وبعدما عذبهم بقسوة أرغمهم على افتداء أنفسهم، وكان الذي حرضه على القيام بهذه الأعمال هم -كما قيل - فالكاسيوس، وفيليب مارك، وبيتر دي موليون، واينغلارد دي آثي، وآخرون كثر، فهؤلاء بعثوا إليه بشكل سري جنوداً لإثارة الاضطراب في المملكة، وفي أثناء هذه الاضطرابات هرب سكان ذلك الجزء من الكونتية إلى الكنائس من أجل السلامة، وحملوا معهم سلعهم إلى المقابر، واحتشد في الوقت نفسه نبلاء انكلترا أمام الملك في ويستمنستر لمناقشة شؤون المملكة، لكن ذلك الايرل الذي استدعي للاجتماع مع البقية، تظاهر بأنه سوف يقدم إلى هناك، لكنه مثل مسافر ماكر غير هدفه، وذهب إلى قلعة فوثرنغيFotheringay، وكانت هذه القلعة آنذاك بعهدة رالف ايرل أوف شيستر، ولكنها كانت شبه خالية من الفرسان والجنود، وعندما عرف الايرل المذكور هذا الوضع وضع سلالمه عليها، وحصل على مدخل إليها مع جنوده، ومسالبث أن أخضعها، واعتقل الحرس القليل العدد الذي وجده هناك، وعهد بها إلى بعض من جنوده ووضعهم فيها، وبادر بعد ذلك مسرعاً كل السرعة إلى بلدة بيهام، ثم قام بنهب جميع المنطقة المجاورة بوساطة جنوده، وزود قلعته وشحنها من أسلاب الآخرين، ولكن عندما وصل خبر هذا التمرد إلى الملك وإلى مستشاريه، حشد على الفور جيشاً، وفي اليوم السادس بعد طهارة القديسة مريم، نصب جنود جيشه مجانيقهم حول القلعة، ودمروا في وقت قصير الأسوار والأبنية، حتى أنه لم يعد لدى المحاصرين مكانا آمنا يخبئون رؤوسهم فيه، وبناء عليه غادروا خرائب القلعة، لأنه لم يبق أمامهم مجال آخر، وفي اليوم الثامن من شباط خرجوا ومثلوا أمام الملك، الذي أمر بوضعهم في السجن حتى تشاور حول الذي ينبغي فعله معهم، وجاء في الوقت نفسه ايرل أوف ألبيمارل إلى الملك تحت توجيه وولتر رئيس أساقفة يورك، وقد سامحه الملك بناء على

توصية والو النائب البابوي، وبحكم أنه كان قد خدم بشجاعة واخلاص الملك وأبيه في حروبهما، وجرى اطلاق سراح جميع الفرسان والجنود من دون عقوبة أو غرامة، وجاء اطلاق السراح من قبل الملك، الذي أعطى بذلك مثلاً سيئاً إلى المتمردين الآخرين ضده، وجعلهم يطمئنون في مثل هذه الحالة.

الخلاف الذي نشب بين رتشارد أسقف درم والرهبان

ونشب في هذه الآونة خلاف شديد بين رتشارد دي ماريسكو Ma-risco أسقف درم وبين رهبان تلك الكنيسة، حول بعض الامتيازات القديمة والأعراف، التي تمتع بها الرهبان مدة طويلة في الماضي، وأرسل الأسقف مخادعة رسالة إلى الرهبان المذكورين ليقدموا إليه مع امتيازاتهم وكتابات كنيستهم، حتى إذا كان بهم أي نقص، يمكنه تزويدهم به بقرار منه، ورفض رئيس الرهبان والرهبان رفضاً مطلقاً تمكينه من مشاهدة كتاباتهم، لأنهم توجسوا شراً من خداعه وخافوا من غشه،وبناء عليه، عندما وجد الأسقف نفسه غير قادر على رؤية كتاباتهم، أقسم أنه سوف ينقل جميع ممتلكاتهم ويحولها لاستخدامه الخاص، وأضاف إلى ذلك أنه إذا ما وجد أي واحد منهم خارج باب ديره، هو لن يقبل فدية له أقل من رأسه، وأقسم أيضاً أنه مادام حياً لن تعرف كنيسة درم الهدوء والسلام، وبعد مضي وقت قصير قام أتباع الأسقف بجر واحد من الرهبان وأخرجوه بالقوة من الكنيسة، وعندما قام هذا الراهب بعرض شكواه عن سوء معاملته إلى الأسقف، أجابه ذلك الأسقف بقوله بأن خدمه كانوا سيحسنون صنعاً لو أنهم قتلوه، وكان من ذلك الوقت، هذا الأسقف عدوانيا إلى أبعد الحدود نحو الرهبان المذكورين، وصار ينزل بهم أعظم الأذى، ولذلك اضطروا إلى الترافع والشكوى إلى البابا، ووضعوا أنفسهم وجميع ممتلكاتهم تحت حمايته، ثم إنهم بعثوا بعض رجال الدين والرهبان إلى روما حيث تقدموا بشكاوى كثيرة ضد

الأسقف، وجواباً على ماتقدم له حصلوا على الرسالة التالية من قداسته:
«من هو نوريوس الأسقف، إلى أسقفي سالسبري وايلاي، وإلى الآخرين، تحيات، الخ، من الواضح تماماً أننا نتمتع بسماع الآراء الطيبة لإخواننا ورفاقنا، وأننا لن نتغاضى عن شرور آثام المعتدين، ولن يخطر على بالنا، تقديراً منا لقانوننا ونظامنا، تأييد المذنبين، الذين تجعلهم ذنوبهم جديرين بالموت، وذلك انسجاماً مع ماضربوه من أمثلة في اقتراف الذنوب لشعوبهم، التي تقلد فقط مثل هذه الجرائم التي شاهدوها بأعينهم، وبما أنه عندما يجري في الغالب التقليد، فاننا نشعر بالمسؤولية تجاه مايقوم به أخونا أسقف درم، ولأن أعماله متباينة تماما مع ماتقتضيه الكرامة الأسقفية جرت أخيراً اثارتنا بوساطة الالتماسات التي جذبت انتباهنا، وبناء عليه لن نسمح للأسقف المذكور الاستمرار أية مدة أطول من دون ضبطه وردعه عن شناعاته، لأن شكاوى ساطعة وتهما مكشوفة قد قدمت ضده، من أنه منذ ارتقائه إلى المرتبة الأسقفية صار مجرماً بسفك الدماء، والسيمونية، والزنا، والتجديف، والسرقة، والحنث باليمين، وكثيراً من الجرائم المضاعفة في التهور في ظلم الرهبان وقمعهم، مع اليتامى، ورجال الدين، وبمنع تقديم القربان للناس وقت موتهم، وفي التورط في الدفاع عن امتيازات الملك مراغمه لولدنا المحبوب باندولف الأسقف المنتخب لنورويك، ومع أنه تحت عقوبة الحرمان الكنسي، يتدخل بإقامة الطقوس الدينية والقداسات، وكذلك بالنسبة للشكاوى والمرافعات المقدمة لنا والمعروضة علينا، هو لم يقم تقديراً لكنيسة روما، ولم يلتزم بقرارات المجمع المسكوني، ولم يبشر بكلمة الرب لشعبه، وبسلوكه الفاسد، وبممارسات حياته قد ضرب مثلاً سيئاً إلى الذين هم تحت ادارته، فلقد أقسم بحضور عدد كبير من الناس، بأن كنيسة درم لن تعرف الهدوء والسلام أثناء حياته، وعندما تشكى له واحد من رهبان درم بأنه جرّ من الكنيسة من قبل خدم الأسقف، وضرب حتى سالت الدماء منه، أجابه بأنه كان يفضل لو أن

خدمه قد قتلوا الراهب، وعلاوة على هذا، لقد داس بقدميه في جميع المناسبات الأحكام الرسولية، التي حددت أي نوع من الأشخاص ينبغي أن يكون الأسقف، وبناء عليه، حتى لانضاعف أخطاء واحد آخر، الأمر الذي سنقترفه لو أننا مررنا مرور الكرام على الذنوب الكبيرة والآثام العظيمة للأسقف المذكور، لاسيما بعدما وصلتنا الصرخات حول هذه القضية، نحن الآن لايمكننا الاستمرار بالتغاضي عن هذه القضايا، ولذلك رأينا من الأفضل النزول من مقام منصبنا الرفيع، للبحث ولرؤية فيما إذا كانت هذه الشكاوى صحيحية أم لا، وبناء عليه نحن نأمركم بوساطة رسائلنا الرسولية هذه القيام بالبحث والتقصي حول هذه القضايا، وعندما تقفون على ما هو صحيح تماماً، ارسال محصلة أبحاثكم مغلقة تحت ختمكم، إلينا، وذلك حتى نتمكن بعون الرب من اتخاذ قرار حول مالذي يتوجب فعله في هذه القضية. صدر في فيتيربو، في السنة الخامسة من بابويتنا».

كيف ذهب أسقف درم إلى روما للاجابة على شكاوى الرهبان

عندما وصلت رسائل مولانا البابا إلى أيدي وكلائه، قاموا بموجب الواجب المفروض عليهم باستدعاء أسقف درم مع رعاة الديرة، ورؤساء الرهبان، والشمامسة، والعمداء في مؤسسة البلاط والمحكمة في درم، وكذلك جميع الآخرين من العلمانيين ورجال الدين في تلك المقاطعة، الذين اعتقدوا ان لهم علاقة تنظيمية بهذه القضية، وعندما مثلوا جميعا في الموعد المحدد والمكان المقرر أمام هؤلاء الوكلاء، جرت قراءة رسائل البابا، على مسمع منهم جميعاً من أجل أن يحصل كل واحد منهم على معلومات واضحة عن القضية، وبعد الفراغ من القراءة وفهم المحتويات نهض رجال دين الأسقف وعرضوا بعض التعليلات الحمقاء الفاسدة، وجاء ذلك رداً على الوكلاء، وأنهم لا يمكنهم متابعة التقصي والبحث، لأنهم سوف يترافعون أمام البابا، وبعدما قدم إلتماس

استئنافه غـادر مع رجال دينه وذلك بعد تحديد موعـد من أجل متهميه للظهور ضـده في حضرة البابا، وبعدمـا قدم الأسقف المذكـور استئنافه، أخذ طريقـة إلى بلاط روما، وجـاء ذلك بعدمـا أرسل أمامـه بعضاً من رجال دينه ليحصلوا له على الحظوة عند البابا ضـد خصومه، وبناء عليه تمكن رجـال الدين المذكـوريـن، قبل وصـول رهبـان درم إلى رومـا من اضعـاف قضيتهم كثيراً، وبناء عليـه وبعـد كثير من المشـاحنات من على الجانبين في حضرة البابـا، وبعدما أنفق الأسقـف وكذلك الرهبـان مبلغاً كبيراً من المال، جـرى إرسالهم عـائـدين إلى انكلترا، إلى الوكلاء المتقـدم ذكـرهم، ليقـومـوا بتقـرير وتحديد مـا هو صحيح، ومنذ أن تفجـر هذا الخلاف فيما بينهم، استمر لوقت طويل، حتى وضع موت الأسقف حداً للنزاع، كما كان هو نفسه قد أعلن.

بناء قلعة جديدة في مونتغمري

وفي العـام نفسه، في حـوالي عيد ميـلاد القـديسة مـريم ألقى للويلن Llewellyn ملك ويلز الحصـــار على قلعـــة إسمهـــا بويت Buet (Builth) وكـانت بلدتها تابعـة لرينالد دي بروز Brause فالتمس بالحاح المساعدة من الملك، حتى يمكن بوسائله رفع الحصار، بحكم أنه كان غير قادر بوسائطه الخاصـة تدبر ذلك، وبناء عليه، ولأن الملك عليه عدم التخلي عن نبلائـه، زحف إلى هناك مع جيش كبير، ورفع الحصار، وعمد الويلزيون— كما هي عـاداتهم—إلى الفرا ر، وعندها زحف الملك نحو مونتغمري Montgomery مع جيشه، آمراً بجمع جميع سلع وممتلكات الويلزيين الذين قـابلوهم مع مـواشيهم من أجل دعم أتباعـه الذين كانوا معه، ولدى الوصول إلى مونتغمري وبعد الطواف في المنطقة كلهـا هناك، رأى قادة الجيش أن المكان مناسب لبناء قلعـة لأن موقعهـا بدا أنه لا يرام، وبناء عليـه أمـر الملـك ببناء قلعـة هناك من أجل ضمان تلك المنطقة، لأن من المعـروف قيام الويلزيين بغـارات من هناك، وبعد

هذا حصل الجميع على الإذن،وعـاد وا إلى مـواطنهـم، وجـرى السماح للنبلاء بالمغادرة بعد دفع ماركين من الفضة عن كل محلجة.

أوضاع الأرض المقدسة بعد الاستيلاء على دمياط وتنيس

[وفي هذه الآونة بعث مقـدم فرسـان الداوية بالرسـالة التـالية حـول شـؤون الأرض المقدسـة:] «إلى أخينا المحترم في المسيح، يرسل إليكم تحيـاته ن.N بنعمـة الرب أسقف إليمنيـوم Elimenum وبطرس دي مونتأليـوت مقدم فـرسان الداوية، نعلم قـداستكم بالرسائل المعـروضة أمـامكم عن سير أمور مـولانا يسـوع المسيح منذ الاستيلاء على دميـاط وعلى قلعة تنيس، وليكـن معلوم لديكم بالمقام الأول أنه بعـد الاستيلاء المذكـور، وصل إلى دميـاط عـدد من الحجـاج، شكلوا مع بقيـة الجيش الذي بقي، مـا فيه كفاية لشحن دميـاط وللدفاع عن المعسكـر، ومولانا النائب البـابوي ورجـال الدين، يرغبون في تقـدم قضيـة جيش المسيح، ولذلك غـالبـاً مـا يقـومـون بحثّ الناس وتحريضهم للهجـوم على المسلمين، لكن نبـلاء الجيش، وكذلك الذيـن من مناطق ما وراء البحـر ومعهم الذين هم من جانبنا من المياه،يرون أن الجيش ليس كافياً للدفاع عن المدينتين المتقـدمتي الذكـر والقلعتين، وفي الوقت نفسـه لا يمكن المضي أبعـد في سبيل منفعـة المسيحيـة، ولذلـك هم لم يوافقـوا على هذه الخطة، لأن سلطان مصر مع حشـد لا يحصـى عـدده من المسلمين، قـد نصب معسكره قرب دمياط، وبنى على كل فرع من فروع النهر جسوراً ليعيق تقـدم الصليبيين، وهو هنـاك مع جيش عمـلاق، وأن يقـوم الصليبيـون بـالتقـدم أكثـر، فـإنهم وقتهـا سـوف يكـونون في خطر هو الأعظم، ومـع ذلك لقـد قمنـا بتحصين المدينة المذكـورة، والمعسكر، والسـاحل القـريب منا بخنادق من جميع الجهـات، متـوقعين أن تتم مواسـاتنا من قبل الرب بوساطة مسـاعدة الذين هم قادمين لمسـاعدتنا، ورأى المسلمون -على كل حال - عدم كفايتنا، فسلحوا جميع غلاييهم،

وبعثوا بهم إلى البحر في شهر ايلول، وسبب هؤلاء خسارة كبيرة ألمت بالصليبيين الذين كانوا قادمين لتقديم العون إلى الأرض المقدسة، وكان هناك في جيشنا عجز كبير بالمال إلى حد أنه لم يعد بإمكاننا الحفاظ على سفننا لأية مدة أطول، ولدى معرفتنا بأن خسائر كبيرة تنزل بالجيش الصليبي، بوساطة غلايين المسلمين تلك، قمنا على الفور بتسليح غلايينا، وسفننا ومراكبنا الأخرى للتصدي لهم، وليكن أيضاً معروفاً لديكم بأن المعظم سلطان دمشق، قد حشد جيشاً كبيراً من المسلمين، ولدى معرفته بأن مدينتي عكا، وصور لم تكونا مزودتين بما يكفي من الفرسان والجنود للتصدي له، قام بشكل مستمر بالحاق الأذى الشديد بهذين المكانين، بشكل سري، وبشكل علني، وبالاضافة إلى هذا، غالبا ماجاء ونصب معسكره أمام معسكرنا، الذي اسمه «المحج» [عثليت]، ملحقاً بنا كل أنواع الأذى، كما أنه حاصر قيسارية في فلسطين واستولى عليها مع أنه كان هناك عدد من الحجاج مقيمين في عكا، وعليّ أيضاً أن أخبركم بأن الأشرف ابن سيف الدين، وأخو سلطاني مصر ودمشق، يقاتل مع جيش قوي ضد المسلمين في المناطق الشرقية، وقد انتصر على أعظم أعدائه قوة، لكن ليس ضد الجميع، لأنه بفضل الرب سوف لن يكون بإمكانه بسهولة قهرهم جميعاً، لأنه إذا مااستطاع انهاء تلك الحرب، سوف يكون من الممكن أن يلتفت باهتمامه نحو كونتيه أنطاكية، أو نحو طرابلس، أو عكا، أو مصر، ولسوف نكون في الخطر الأعظم، إذا كان سيتولى حصار أية واحدة من قلاعنا، لأننا لن نستطيع، بأي حال من الأحوال دفعه وابعاده، هذا والحديث عن وجود خلافات بين المسلمين يمنحنا السرورة والراحة، علاوة على ذلك إننا متوقعون منذ وقت طويل وصول الامبراطور ونبلاء آخرين بهم نأمل أن نتحرر، ونأمل بوصولهم بانهاء هذه المسألة، التي بدأت بأيدي كثيرة، إلى نهاية سعيدة، ولكن إذا خابت آمالنا بشأن هذه المساعدة، ولم تصل في الصيف المقبل -الأمر الذي آمل أن لايحدث -سوف يكون وضع البلدين

اللذين هما مصر وسورية، وماتملكناه مؤخراً ، والذي نمتلكه منذ زمن طويل، في موضع شك، وبالاضافة إلى ما تقدم لقد ظلمنا نحن والناس الآخرين من جانبنا من الغرب بالنفقات العالية جداً في الاستمرار بهذه الصليبية،ووصل الحال والضيق بنا إلى درجة أننا سوف نكون غير قادرين على الانفاق على حاجتنا الضرورية، ما لم نتسلم، بفضل، الرحمة اللاهوتية، بأسرع وقت ممكن المساعدة من أبناء ديننا المسيحيين. صدر في عكا في العشرين من أيلول».

حج فيليب دي ألبيني إلى الأرض المقدسة

عام ١٢٢٢م، فيه أمضى الملك هنري عيد الميلاد في ويستنمستر، حيث زوده بطرس أسقف ذلك المكان بجميع الضروريات للاحتفال، وفي هذا العام أيضاً، انطلق فيليب دي ألبيني، الذي كان فارساً شجاعاً وأميناً وكان موجهاًمخلصاً لملك انكلترا، وأخذ طريقة نحو القدس، وقد وصل إلى هناك بعد رحلة موفقة، دون المعاناة من أية خسارة في الممتلكات والسلع، وما أن تعرف على شؤون الأرض المقدسة حتى بعث الرسالة التالية إلى رالف ايرل شيستر:

حول فقدان دمياط

«إلى صاحب القداسة والمولى والصديق رالف ايرل شيستر ولنكولن، يتمنى له صديقه المخلص فيليب دي ألبيني الصحة وخالص العواطف، عليّ أن أخبر معاليكم أنه في يوم صعود العذراء مريم أبحرنا من ميناء مرسيليا، وفي يوم الاثنين قبل ميلاد العذراء نفسها وصلنا إلى أمام دمياط، وهناك رأينا عدداً كبيراً من السفن تغادر البلدة، ولقد تحدثت مع واحد من المراكب وقدمت هدايا إلى الملاحين، وبناء عليه قدموا وتحدثوا إلينا، وجلبوا إلينا تقارير حزينة جداً، أفادت بأن شعبنا في دمياط، والنبلاء في تلك المدينة، وملك القدس، والنائب البابوي، ودوق

بافاريا، والداوية والاسبتارية ، مع آخرين كثر، بلغ عددهم إلى ألف صليبي وخمسة آلاف من الفرسان الآخرين، مع أربعين ألفاً من الجنود الرجالة، قد مضوا في حملة نحو القاهرة، وذلك على الرغم من معارضة الملك، حيث —كما قيل—قد غادروا في يوم عيد القديس بطرس في الأغلال، وهذا معناه أنه مضى على غيابهم في تلك الحملة ثلاثة أسابيع أو أكثر، وهم الآن في حوالي منتصف الطريق بين دمياط والقاهرة،وقدم وقتها سلطان القاهرة مع أخيه المعظم ومعهما جميع القوات التي تمكنا من حشدها، وغالباً ما هاجما قومنا، وكثيراً ما فقدا بعضاً من رجالهما، وعندما رغب شعبنا بالعودة إلى دمياط، أصبح النهر فائضاً، وطاف لعدة أيام على طرفيه، وانحصر شعبنا بين فروع النهر، ثم عمل المسلمون قناة من فرع إلى آخر على مقربة من جيشنا، وفي الوقت نفسه ازداد ارتفاع النهر بشكل كبير جداً، حتى أن شعبنا صار رجاله يخوضون في الماء حتى ركبهم وأوساطهم، مما سبب لهم شقاء عظيماً وآلاماً، وبذلك صاروا عرضة إما للقتل أو الوقوع أسرى بيد سلطان القاهرة، وذلك حسبما يرغب، وفي ظل هذه الأوضاع وافق شعبنا على هدنة لمدة ثمانية أعوام وأبرموها مع السلطان، على شرط تخليهم عن دمياط وتسليمهم لها مع جميع الأسرى الذين لديهم بالأسر، وفي سبيل مراعاة هذه الهدنة وتنفيذها، بقي ملك القدس، والنائب البابوي ودوق بافاريا والشخصيات الهامة الأخرى بمثابة رهائن، وقدم السلطان وأعطى عشرين رهينة من أجل مراعاة الهدنة من جانبه، وعندما سمعنا بهذه التقارير شعرنا بحزن عظيم، كما يتوجب على كل مسيحي أن يشعر، وبناء عليه رأينا أن من الأفضل أن نأخذ طريقنا إلى عكا، لأننا لم نرغب أن نكون حضوراً لدى تسليم دمياط، وقد وصلنا إلى عكا في اليوم التالي لميلاد العذراء مريم، وهو اليوم الذي أعقب يوم تسليم دمياط إلى السلطان، وقد قام السلطان نفسه بإطلاق سراح جميع الأسرى الذين كانوا لديه، وعليّ أيضاً أن أخبركم أن صاحب الجلالة

ملك القدس، على نية الذهاب إلى بلادكم، ولذلك أرجوكم أن تقدموا له العون، وفقاً للوعود التي عملت نحو الملك والنبلاء الآخرين، لأنه من الصعب وصف فضائله الكبرى التي هي موضع اعجاب».

رسالة أخرى حول القضايا نفسها

«من الراهب ب. pدي مونتأكيوت ، المقدم المتواضع لفرسان الداوية، إلى أخيه المحبوب في المسيح أ. A مارتل Martel الشاغل لمنصب مدرس في انكلترا، تحيات: لقد كنا من حين إلى آخر قد أخبرناكم عن تطور أحوال القضية التي نحن بشأنها والمتعلقة بشؤون يسوع المسيح، ونخبركم الآن بانتظام عن الانتكاسات التي واجهناها في أرض مصر، بسبب ذنوبنا، فلقد مكث الجيش الصليبي بعد الاستيلاء على دمياط وقتاً طويلاً، دونما حراك، في ذلك المكان، ولقد ألقى الناس الذين قدموا من مناطقنا في الغرب والذين جاءوا من مناطق ما وراء، البحر، الملامة والنقد علينا بسبب هذا السلوك، وقد وصل دوق بافاربا بمثابة قائد ممثل للامبراطور، وقد أوضح للناس بأنه قد جاء بغرض الحرب ضد أعداء الايمان المسيحي، وبناء عليه جرى عقد اجتماع ضم مولانا النائب البابوي، ودوق بافاربا، ومقدموا الداوية والاسبتارية وطائفة التيوتون، والايرلات والباروناتِ، فيه تقرر بالاجماع القيام بالتقدم، وبعدما جرى الارسال خلف ملك القدس المشهور، جاء مع باروناته ومعه اسطول من الغلايين والسفن المسلحة، ووصل إلى دمياط، ووجد جيش الصليبيين مقيماً في معسكره خارج الخطوط، وبعد عيد القديسين بطرس ، وبولص، استأنف وقتها صاحب الجلالة الملك والنائب البابوي ومعهما الجيش الصليبي كله، الزحف بشكل نظامي في كل من البر والماء، وقد اكتشفوا وجود السلطان مع حشد لا يحصى من أعداء الصليب، وقد هرب هؤلاء من أمامهم، وبناء عليه تابعوا زحفهم من دون خسائر حتى وصلوا إلى معسكر السلطان، وكان هذا المعسكر

محاطاً بنهر كانوا غير قادرين على عبوره، ولذلك أقام الجيش الصليبي معسكره على ضفة النهر، وشيد جسوراً للعبور إلى أمام معسكر السلطان الذي كنا مفصولين عنه بوساطة نهر تنيس، الذي هو فرع لنهر النيل العظيم، وبعدما أقمنا بعض الوقت هناك، غادر عدد كبير جيشنا، من دون الحصول على إذن، ولذلك نقص عدد الجيش بعشرة آلاف أو أكثر، وفي الوقت نفسه،عندما فاض النيل أرسل السلطان غلايين وبراكيس إلى داخل النهر لإعاقة سفننا، وفعل ذلك من خلال أقنية كان قد فتحها وأعدها من قبل، وبهذه الطريقة لم يكن من الممكن وصول مؤن إلينا من دمياط، وبذلك حرمنا من المؤن، لأن المؤن تعذر وصولها إلينا عبر البر، بسبب أن المسلمين منعوها من الوصول، وهكذا فإن الطريق بالبحر وبالبر الذي كان من الممكن عبره أن تصل المؤن الضرورية إلينا بات مغلقاً، وعقد الجيش اجتماعاً للتباحث من أجل العودة، لكن أخوا السلطان: الأشرف والمعظم، سلطانا:حلب ودمشق والسلاطين الآخرون، خاصة سلاطنة: حمص،وحماة، وقلعة جعبر مع ملوك مسلمين كثير آخرين، وجيش لا يحصى عدده من المسلمين، كانوا قد جاءوا لمساعدتهم، تولوا قطع طريق تراجعنا وغادر— على كل حال —جيشنا أثناء الليل وسار عبر البر والماء، لكنه فقد كل المؤن في النهر، وذلك إلى جانب عدد كبير من الرجال، لأنه عندما فاض النهر، وجه السلطان الماء في اتجاهات مختلفة من خلال مجاري خفية وأقنية وترع، كانت كلها قد أعدت قبل وقت مضى لإعاقة تراجع الصليبيين وبناء عليه تفرق جيش المسيح بين الأغواط، ولذلك فقد جميع حيوانات الحمولة لديه، ومخزوناته، وجميع حاجياته الضرورية تقريباً، وصار بذلك محروماً من المؤن، وبذلك لم يعد بإمكانه الإشتباك بالقتال مع السلطان بسبب أنه كان محاطاً بالنهر، وهكذا بات معتقلاً في وسط المياه مثل سمكة، وعندما وجد قادة الجيش أنفسهم في هذا المأزق، وافقوا مكرهين على تسليم مدينة دمياط إلى السلطان، مع جميع الأسرى الذين

يمكنهم العثـــور عليهم في صـــور وعكـا، مقـابل الصليـب الحقيقي، والأسرى الصليبيين الموجـودين في مصر ودمشق، وبنـاء عليـه نبنا مع عدد آخـر من الرسل عن الجيش بشكل عام، وذهبنا إلى دميـاط لإخبار الناس في المدينة عن الشروط التي فـرضت علينا، مما أزعج كثيراً أسقف عكا، والمستشار، وهنري كـونت مالطا، الذي وجـدناه هناك، ذلك أنهم رغبوا بالدفـاع عن المدينة، وهو ما توجب علينا الموافقـة عليه، لو أمكن فعله والقيـام بـه مع أية منافع، لأننا كنا بالحري نـؤثر أن نوضع في أسر دائم على تسليم المدينة للمسلمين الذي هـو عـار للصليبيـة، وبناء عليـه قمنا بعملية بحث دقيقـة خلال المدينة، ومع الأفـراد والأوضاع المؤثرة، فلم نجـد مالاً ولا أنا سـاً يمكن بوساطتهم الدفـاع عن المدينة، ولذلك رضخنا لهذه الاتفـاقيـة وربطنا أنفسنا بالإيمان وبـاعطاء رهائن، ووافقنا على هدنة ثابتـة لمدة ثمانيـة أعوام، والتـزم السلطان -حتى الانتهـاء من الترتيبات—بدقة بما كان قد وعد به، وزود جيشنا الجائع بالخبز والدقيق لقرابة خمسة عشر يوماً، ولذلك تعاطف برحمة مع آلامنا، وساعدنا بقدر ما أنت تستطيع ووداعاً».

مباراة مصارعة واضطرابات في مدينة لندن

وفي العام نفسه التقى سكان مدينة لندن في يوم عيد القديس جيمس، في مشفى الملكة مـاتيلدا، خارج المدينة لـلانخراط بمبـاراة مصارعـة مع سكان المناطق القـائمـة حـول المدينـة، لمشـاهدة من منهم يمتلك القـوة الأكبر، وبعـدمـا تصـارعـوا لمدة طويلة وسط الصراخ من على الطرفين، تمكن سكان المدينـة من إحـداث اضطراب وسط خصـومهـم، ونالوا النصر، وكان بين الذين تعرضوا للهزيمة قهرمان راعي دير ويستمنستر، وقـــد غـــادر وهـو يفكر بعمق ويبحث عـن وسيلة ينتقم بها لنفســـه ولأصحابه، وبعد لأي اعتمـد الخطة التالية للانتقام، فقـد عرض تقديم جـائزة من أجل المصـارعـة، في ويستمنستر، والذي سوف يبرهن نفسـه

على أنه المصارع الأفضل، ينبغي أن يتسلم الكبش بمثابة جائزة، وجمع في الوقت نفسه عدداً من المصارعين البارعين والأقوياء، حتى يمكنه بذلك استحواذ النصر، لكن لكون سكان المدينة كانوا راغبين في نيل انتصار آخر، قدموا إلى المباراة في قوة كبيرة، وبدأت المباراة والاصطراع من على الجانبين، واستمروا لبعض الوقت يرمون بعضهم الآخر، وبما أن القهرمان وأتباعه من الضواحي ورفاقهم من الأرياف، أرادوا الانتقام وليس الرياضة، بادروا إلى حمل السلاح وضربوا بحدة سكان المدينة، الذين قدموا إلى هناك غير مسلحين، وسببوا سفك الدماء بينهم، وأصيب سكان المدينة بالجراحة بشكل مخجل، وتراجعوا إلى المدينة وسط اضطراب عظيم وفوضى كبيرة، وبعدما صاروا بالمدينة حدث هياج كبير بين السكان، وأعطيت اشارة إلى السكان من مختلف المراتب للاجتماع، وجرى إخبار الناس بملابسات ماحدث، ولذلك اقترحوا جميعاً طرقاً مختلفة وخططاً متباينة للانتقام، لكن سيرلو Serlo، عمدة المدينة، وكان رجلاً حكيماً ومحباً للسلام، ارتأى أنه ينبغي استدعاء راعي دير ويستمنتسر للإجابة على هذه الاهانة، وإذا ماقدم ترضية مناسبة عن نفسه وعن أتباعه، فسيكون في ذلك رضا لهم جميعاً، وفي جواب على هذا، وقف واحد من أعيان المدينة، واسمه قسطنطين، وسط هتاف جميع السكان وقال إنه يرى وجوب هدم جميع أبنية دير ويستمنستر، وبيت القهرمان المتقدم الذكر وتسويتها بالأرض، وعندما أنهى كلامه، صدر القرار بذلك، وأنه ينبغي تنفيذ خطة قسطنطين، وما الذي يمكن أن يقال أكثر من هذا؟ واندفع السكان الحمقى والطائشين مع الآخرين في المدينة، وتوجهوا بشكل فوضوي، وكان قسطنطين على رأسهم، وقد دخلوا في حرب أهلية، حيث دمروا عدداً كبيراً من الأبنية، وألحقوا ضرراً كبيراً براعي الدير، وبما أن هذه الأحوال كان من غير الممكن إبقاءها سرية لوقت طويل، فقد وصلت إلى مسامع هيوبرت دي بورغ، المسؤول عن العدالة في انكلترا، فحشد قوة، وزحف نحو برج لندن،

ومن هناك أرسل رسلاً إلى المدينة، وأمر شيوخ السكان بالقدوم إليه بأقصى سرعة ممكنة، ولدى مثولهم أمامه سألهم عن رؤساء فعلة هذا الاضطراب، وهذه الفوضى في مدينة الملك، ومن الذي تجرأ على خرق السلم الملكي، ومثلما كان قسطنطين الذي كان هو الأجرأ في هذا الاضطراب، كان الآن هو الأجرأ بالإجابة، حيث أعلن أنه على استعداد للإجابة عن كل ماحصل، ولدى سماعه جميع الشكاوى، قال بأنه فعل الذي هو أقل مما ينبغي فعله، وعندما سمع المسؤول عن العدالة هذا الاعتراف، اعتقله من دون صدور أي صوت مع اثنين آخرين إلى جانبه، وأرسل في الصباح فالكاسيوس مع قوة من الجند عن طريق التيمز، وقد حمل قسطنطين بعيدا لكي يشنق، وعندما وضع الحبل حول عنقه، وفقد كل أمل، عرض دفع خمسة عشر ألف مارك من الفضة مقابل الابقاء على حياته، لكن ذلك كان بلافائدة، وقد جرى شنقه وقتذاك مع حفيده قسطنطين، وواحداً آخر اسمه غيوفري، وهو الذي كان قد أعلن الحكم الذي أصدره قسطنطين في المدينة، وهكذا بما أن سكان المدينة لم يعرفوا ماحدث، فقد جرى تنفيذ القرار الذي صدر بحقه من دون هياج وفوضى، ومضى بعد هذا المسؤول عن العدالة يتجول في المدينة مع فالكاسيوس وقوة من الجند، وقد اعتقل جميع الذين اكتشف أنهم كانوا مجرمين في الفتنة المذكورة وألقى بهم في السجن، وبعدما قطع أقدام بعضهم، وأيدي بعضهم الآخر سمح لهم بالمغادرة، وبسبب هذه الحادثة هرب بعض الناس من المدينة، ولم يعودوا إليها بعد ذلك ثانية، ثم أوقع الملك عقوبة كبيرة، حيث خلع جميع رجال العدالة في المدينة، وعين رجالاً جدد عوضاً عنهم.

عواصف رعدية وأحوال مناخية سيئة

وسمعت في الثامن من شباط من العام نفسه أصوات رعود مرعبة، وكانت أسهم البرق لدى اصطدامها قد أشعلت النار في كنيسة غراهام

في كونتيـة لنكولن، ومنها صـدرت روائح كريهة جـداً إلى حد أن الذين كانـوا في الكنيسة لم يتحملوها، لذلك هربوا، وبعـد مضي بعض الوقت أمكن عن طريق اشعال فتيل الشمع المقدس، ورش الماء المقدس، أمكن بعـد بعض الاضطراب إطفـاء النار، لكن آثـار بعض اللهب مـاتزال مـوجودة في الكنيسـة، وكـان هناك في العـام نفسه، في يـوم عيد تمجيـد الصليب (١٤ -ايلول) كثيراً من الرعـود في جميع أرجـاء انكلترا، وقـد تبع هـذا هطول أمطار غـزيرة، مع زوابع شـديدة، ورياح عنيفـة، واستمـرت هذه الأنواء العـاصفـة مع المناخ الذي لم يكن معتـاداً آنذاك حتى عيـد طهـارة العذراء،محدثاً دمـاراً عظيماً لعـدد من الناس، وبشكل خاص إلى المزارعين، وقد بيع في الصيف التـالي عيار القمح بمبلغ اثني عشر شلنا، ومجدداً سمع الرعد في العام نفسه في يوم عيد القديس أندرو الرسـول (٣٠ -تشرين الثـاني) في جميـع أرجـاء انكلترا بشكل عـام، مما سبب دمـار الكنـائس، وأبراج الكنائس، والبيـوت والأبنيـة الأخـرى، وأسوار القلاع وسـواترها الدفاعية، وفي بلدة اسمهـا بيلاردستون Pi-lardeston في كونتية ووريك Warwickدمرت العاصفـة بيت أحد الفرسـان، ودفنت زوجته، وثمانية أشخـاص من كلا الجنسين، مما أفجع كثيراً من الناس رأوا المأسـاة، وازدادت العاصفـة بعد هذا قـوة وغضباً، فسقطت في البلدة نفسهـا، على بقعـة من الحلفـاء، كـانت محاطة ببحيرة ذات مـاء عميق، فجفت على الفور، فلم تترك فيهـا لاعشب ولاتراب، والذي بقي مجرد حجـارة جافـة، ومـرة أخرى في عشيـة عيـد القديسـة لوسي Lucy(١٣ -كـانون أول) العـذراء، هبت بشكل مفـاجيء ريح عـاصفة، وقـد ثارت بقسـوة أعظم مما ذكـرناه من قبل من العـواصف، ذلك أنها أسقطت خـلال انكلترا بشكل عام أبنية كأنها تعـرضت للنفخ عليهـا من قبل الشيطان، وسـوت بالأرض كنائـس وأبراج، واقتلعت أشجـار الغابات من جـذورها وكـذلك أشجـار الفواكـه، وبذلك نادراً مانجا انسان دون التعرض للخسارة والمعاناة منها.

كيف طالب ستيفن رئيس أساقفة كانتربري بامتيازات صك الحريات من الملك

عام ١٢٢٣م، فيه عقد الملك هنري بلاطه في عيد الميلاد في أكسفورد، ووصل إلى لندن بعد ذلك في ثمانية عيد الغطاس، لعقد مؤتمر مع البارونات، وهناك سأله رئيس أساقفة كانتربري وكذلك سأله بقية النبلاء أن يؤكد لهم الامتيازات والأعراف الحرة، حتى يحصلوا عليها، وهي التي كانت السبب في دخول الحرب ضد والده، ونظرا لما برهن عليه رئيس الأساقفة بكل وضوح، لم يتمكن الملك المذكور تجنب منح هذا المطلوب، لأنه عندما غادر لويس من انكلترا، كان قد أقسم هو ونبلاء المملكة على مراعاة الامتيازات المذكورة، وأن يتدبروا مراعاتهم من قبل الجميع، ولدى سماع هذا الطلب، قام وليم بريوير Briwere، وكان واحداً من مستشاري الملك، فتولى الرد باسم الملك قائلاً: «بما أن الامتيازات التي تطالب بها قد استخرجت بالقوة، ينبغي بالحقيقة عدم مراعاتها»، فأصبح رئيس الأساقفة غاضباً بسبب هذا الرد، فوجه اللوم إليه قائلاً: «إذا كنت ياوليم تحب الملك، عليك عدم إفساد سلام المملكة»، وعندما رأى الملك بأن رئيس الأساقفة قد أثير حتى الغضب قال: «لقد أقسمنا على مراعاة جميع هذه الامتيازات، والذي أقسمنا عليه نحن ملتزمون به»، ثم قام على الفور فعقد مؤتمراً، وبعث رسائل إلى كل واحد من عمد مناطق انكلترا، آمراً إياهم القيام بعملية بحث وتقصي بموجب قسم يؤديه اثني عشر فارساً أو اقطاعياً أو رجلاً حراً من كل كونتية، حتى يعرفوا أية امتيازات كانت موجودة في أيام جده الملك هنري وأن يبعثوا إليه بنتيجة البحث الخاصة، إلى لندن في إطار خمسة عشر يوماً بعد عيد الفصح.

خلاف بين الويلزيين ووليم مارشال

في هذا العام نفسه، عندما كان وليم مارشال ايرل أوف بمبروك في ايرلندا قام للويلين ملك الويلزيين مع جيش قوي، بالاستيلاء على قلعتين كانتا ملكاً لوليم المذكور، وقتل صبراً جميع الذين وجدهم فيهما، ثم غادر مبتعداً، تاركاً أتباعه الويلزيين في هاتين القلعتين، ووصلت أخبار هذه الوقائع بعد عدة أيام إلى مسامع وليم مارشال، فعاد مسرعاً كل السرعة إلى انكلترا، حيث حشد قوة كبيرة، ثم إنه حاصر القلعتين واستولى عليهما، وبما أن جميع أتباعه قد جرى قتلهم صبراً بعد استيلاء للويلين على القلعتين، مثل هذا فعل وليم انتقاماً فقتل صبراً جميع الويلزيين الذين أسرهم، وقام بعد ذلك حتى يزيد من انتقامه لنفسه فغزا أراضي للويلين، وأحدث دماراً في المنطقة حيثما ذهب وتوجه بالسيف والنار، ولدى سماع للويلين بهذا قدم للتصدي للمارشال مع قوة كبيرة، لكن الحظ وقف إلى جانب المارشال، حيث قاتل الأعداء، وبعدما قتل عدداً من الويلزيين، أرغم البقية على الفرار، وطاردهم بحرارة، وقتلهم من دون رحمة، فلقد جرى تعداد تسعة آلاف على أنهم قتلوا ووقعوا بالأسر، وفقط عدد قليل هم الذين نجوا بالفرار.

وفي العام نفسه، في حوالي أيام عيد صعود ربنا، جرى تكريس وليم موكلير Mauclere أسقفاً كارآيل Carlisle ليورك، وفي تلك الآونة نفسها، تدفق سائل زيتي نقي في الكنيسة الكبرى في يورك، من ضريح القديس وليم، الذي كان من قبل رئيساً لأساقفة تلك الكنيسة، وأمطرت السماء في العام نفسه مطراً لونه لون الدم، وقد صبغ الأرض في روما، لمدة ثلاثة أيام، مما سبب الدهشة لكثير من الناس.

موت فيليب ملك فرنسا

وفي العام نفسه، في حوالي أيام عيد القديس بطرس في الأغلال، مات

فيليب ملك فرنسا، وقد كان أشار إلى موته مذنب له ذيل ناري، ظهر قبل أيام قليلة، وما أن بات خبر موته معلوماً، حتى بعث هنري ملك انكلترا، رئيس أساقفة كانتربري مع ثلاثة أساقفة إلى ابنه لويس، وكان ذلك إثر تتويجه، وقد طلب منه إعادة نورماندي، ومناطق ماوراء البحر الأخرى، إليه، وهو ماكان قد أقسم على فعله مع موافقة جميع نبلائه، لدى مغادرته لانكلترا، عندما أقيم السلام بينه وبين ملك انكلترا المذكور، وعلى هذا الطلب رد لويس بأنه متملك لنورماندي وللأراضي الأخرى كحق له، وهو على استعداد للبرهنة على ذلك في بلاطه إذا مارغب ملك انكلترا بالظهور به لتأييد دعواه هناك، وأضاف بأن اليمين الذي عمل من جانب ملك انكلترا قد خرق، وكان ذلك بارغام أتباعه الذين أخذوا أسرى في لنكولن، على دفع غرامة فدية ثقيلة، كما أنه فيما يتعلق بامتيازات مملكة انكلترا، التي من أجل الحصول عليها قد وقعت الحرب، وهي التي جرى منحها أثناء مغادرته، وجرى الاقسام على مراعاتها من قبل الجميع، قد تصرف ملك انكلترا بالنسبة لها بشكل أنه لم يكتف بوضع القوانين السيئة مجدداً موضع التنفيذ، وأعادهم إلى أحوالهم، بل إنه عمل قوانين أخرى أسوأ مما كان موجوداً في جميع أنحاء انكلترا، ولما لم يكن بإمكان رئيس الأساقفة والأساقفة الحصول على جواب آخر، عادوا إلى الوطن، وأخبروا الملك.

الألبينيون ينتخبون بابا مضاد

وفي هذه الآونة قام الألبينيون الهراطقة، في مناطق: بلغاريا، وكرواتيا، ودالماشيا، فاختاروا لأنفسهم بابا مضاد، وهو شخص اسمه بارثولوميو، كانت عقيدته الفاسدة قد نالت تأييداً كبيراً في هذه المناطق، إلى حد أنها أثارت أساقفة وآخرين كثر في هذه البلاد وأغرتهم للالتحاق بهذا الانشقاق، وقد وقف ضده وعارضه أسقف بورتوس Portus الذي كان النائب البابوي في تلك المناطق، وقد كتب كمايلي إلى رئيس أساقفة

روان: «إلى أخينا المبجل، الذي هو بنعمة الرب رئيس أساقفة روان، وإلى أساقفته المساعدين، التحيات في مولانا يسوع المسيح، عندما أرغمنا على طلب المساعدة منك في سبيل قرين المصلوب الحقيقي، فنحن نعاني من التنهدات والدموع، وكل مارأيناه سوف نخبرك به، ومثل ذلك سوف نفعل بالنسبة لكل ماسنكون شهوداً له، فذلك الرجل المفقود، الذي ارتفع إلى مافوق كل شيء، وهو الذي عبد أو الذي دعي باسم رب، له الآن ممثل في كفره ممثل بشخص رئيس الهراطقة، الذين يدعوه الألبينيون باسم باباهم، وهو الذي يسكن الآن ضمن حدود بلغاريا، وكرواتيا، ودلماشيا، على مقربة من سكان هنغاريا، وقد تدفق عليه الهراطقة الألبينيون، ليحصلوا منه على أجوبة لأسئلتهم، والنائب لهذا البابا المضاد، الذي اسمه بارثولوميو، هو أسقف للهراطقة، وكان قد ولد في كاركاسون Carcasson ، وهو يقدم أعظم اجلال غير تقوي إلى ذلك الرجل، وقد تخلى عن سكنه واقامته في البلدة التي اسمها بورلوس Porlos ، وحمل نفسه إلى منطقة قرب طولوز، وكتب بارثولوميو هذا في مطلع رسائله التي أرسلها إلى مختلف الجهات ألقابه كمايلي: «من بارثولوميو عبد عبيد الايمان المقدس، إلى فلان، تحيات»، وكان من بين آثامه أنه أوجد أساقفة، وأقدم بشكل شرير على تكريس كنائس، وبناء عليه، إننا بوساطة سلطات الكرسي الرسولي، الذي أنا نائبه في هذه المنطقة، نرجوك بالحاح، ونلتمس منك بحق دم يسوع المسيح أن تقدم في ثمانية الرسولين بطرس وبولص إلى السين Sens، وهو المكان الذي سوف يجتمع فيه بقية أساقفة فرنسا، في ظل فضل الرب، وذلك حتى تقدم نصيحتك حول القضية المذكورة أعلاه، ولتقوم مع الآخرين الذين سوف يكونون هناك، في اتخاذ الاجراءات المضادة والقمعية ضد هرطقة الألبينيين هذه، وإلاّ فإننا سوف نخبر البابا بعدم طاعتك، صدر في بلانيوم في الثاني من تموز»، ومالبث موت البابا المضاد المذكور أعلاه، أن وضع على الفور حداً لهذا العصيان والاضطراب.

كيف سعى بعض البارونات لاحداث خصام

وانتشرت في العام نفسه اشاعات كبيرة بين نبلاء انكلترا، الذين رغبوا في افساد السلام في المملكة، وكانت حول هيوبرت دي بورغ المسؤول عن العدالة، حيث قالوا بأنه أثار سخط الملك ضدهم، وعمل بشكل منحاز في إدارته للمملكة، وبالاضافة إلى هذا ازدادت سوء نواياهم لدى وصول رسل الملك، الذين أرسلهم إلى روما، حيث أنهم جلبوا معهم مرسوماً من مولانا البابا إلى رؤساء أساقفة انكلترا وأساقفتهم المساعدين، قضى فيه قداسته بأن ملك انكلترا قد بلغ السن القانونية تماما، ليباشر شؤون المملكة وادارتها بشكل رئيسي مع مساعدة مستشاريه، وأمر البابا أيضاً في هذه الرسائل، الوكلاء المتقدم ذكرهم، بموجب السلطات الرسولية، أن يقوموا بأمر الايرلات، والبارونات، والفرسان، وجميع الآخرين، المتولين مسؤولية القلاع، والمناصب العالية، والبلدات، التي هي تحت سلطان الملك، بالقيام فور رؤيتهم لهذه الرسائل، بتسليمهم إلى الملك دونما تأخير، ولإرغام جميع المغامرين على تقديم ترضيات تحت طائلة العقوبات الكنسية، وبناء عليه كانت هناك فئة كبيرة من البارونات، الذين كانت قلوبهم مليئة بالجشع، قد شعرت بالغضب بسبب هذه الأوامر، وقد اجتمعوا مع بعضهم لإشعال حرب، وبما أن أخبار مؤامرتهم قد انتشرت بالخارج ولم تعد بالخفاء، لقد تمسكوا بالقضايا المذكورة كمسوغ لإفساد سلام المملكة، فرفضوا أوامر رؤساء الأساقفة والأساقفة، وقدموا اتهامات كما ورد أعلاه، مفضلين اللجوء إلى السلاح، على تقديم ترضية للملك حول القضايا المتقدم ذكرها، ولسوف نتحدث عن ذلك فيما سيأتي.

جلب صليب مولانا إلى برومهولم

وتكرر في هذا العام وقوع معجزات لاهوتية في برومهولم Brom-holm، وذلك من أجل تمجيد وتشريف الصليب المانح للحياة، الذي

عليه تألم المخلص من أجل انقاذ الجنس البشري، وبما أن بريطانيا هي مكان واقع في وسط المحيط، لقد ارتؤي أنها جديرة بالكرم اللاهوتي حتى تتبارك بمثل هذا الكنز، وإنه لمن الضروري والموائم، لابل من الموائم جداً، أن نغرس في أذهان أبنائنا معلومات توضح سلسلة الأحداث التي جلبت ذلك الصليب من مناطق بعيدة إلى بريطانيا: كان بلدوين كونت فلاندرز قد تحول من كونت ليكون امبراطورا للقسطنطينية، وقد حكم في ذلك المكان بنشاط وفعالية لكثير من السنوات، ولذلك جرت مضايقته والاعتداء عليه في وقت واحد بشكل مرعب من قبل الملوك الكفار، وقد زحف ضدهم دونما استعداد محكم، وأهمل في هذه المرة أن يحمل معه صليب الرب، والآثار المقدسة الأخرى التي جرت العادة بحملها أمامه من قبل البطريرك والأساقفة، كل مرة كان فيها على وشك الانخراط في القتال ضد أعداء الصليب، وواجه بسبب إهماله في ذلك اليوم محنة مرعبة، لأنه عندما انقض على الأعداء من دون تدبر مع جيشه الصغير، دون أن يقيم تقديراً إلى حشد أعدائه الذي تفوق على جيشه بعشر مرات، في وقت قصير جرى تطويقه مع رجاله من قبل أعداء المسيح، وقتلوا جميعا أو أخذوا أسرى، والعدد الضيئل الذي نجا من العدد العام لم يعرف شيئاً عما حدث للامبراطور أو إلى أين ذهب، وكان في تلك الآونة شماس من أصل انكليزي، تولى القيام بقداس لاهوتي مع كهنته في بيعة الامبراطور، وكان هو واحداً من الذين تولوا المسؤولية عن الآثار المقدسة للامبراطور وخواتمه والأشياء والمنافع الأخرى، وبناء عليه عندما سمع بوفاة مولاه الامبراطور (لأن الجميع أخبروه بأنه قتل) غادر مدينة القسطنطينية بشكل سري مع الآثار المقدسة المتقدم ذكرها، ومع أشياء أخرى كثيرة، ووصل إلى انكلترا، وبعد وصوله إلى هناك ذهب إلى سانت ألبان، وباع إلى أحد الرهبان هناك صليباً مكفتاً بالذهب والفضة، وذلك بالاضافة إلى اصبعين من أصابع القديسة مرغريت، وبعض

الخواتم الذهبية والمجوهرات، وهذه الأشياء كلها محفوظة بتبجيل عظيم في دير القديس ألبان، ثم أخرج الشماس المذكور من عباءته صليباً خشبياً وأراه إلى بعض الرهبان، وأعلن مقسماً، بأنه كان بلاشك قطعة من الصليب الذي عليه تمدد مخلص العالم وتعلق، من أجل انقاذ الجنس البشري، ولكن بما أن تأكيداته لم يتم تصديقها في ذلك المكان، غادر آخذاً معه الكنز الذي لايقدر بثمن، مع أنه لم يكن معروفاً، وكان لذلك الشماس ولدين صغيرين عن الانفاق عليهما وحفظهما كان مشغولا وقلقاً كثيراً، ولهذا السبب كان مقصده من عرض الصليب المذكور على عدد من الديرة، قد جاء مشروطاً، بأن يجري استقباله مع ولديه ليعيشوا مع رهبان الدير، وبعدما تحمل الرفض من الاغنياء في أماكن كثيرة، وصل أخيراً إلى بيعة في كونتية نورفولك، اسمها برومهولم Brom-holm وكانت بيعة فقيرة جداً، وكلها مجرد أبنية معدمة، وهناك بعث وراء رئيس الرهبان مع بعض الرهبان، وأراهم الصليب المتقدم الذكر، الذي كان معمولاً من قطعتين من الخشب وضعتا بشكل متعاكس احداهما عبر الأخرى، وكان عرضهما تقريباً بقدر يد الانسان، ثم إنه توسل إليهم بتواضع أن يستقبلوه في طائفتهم مع هذا الصليب والآثار المقدسة الأخرى التي كانت معه، وكذلك ولديه، وشعر رئيس الرهبان مع رهبانه بسرور عارم تجاه امتلاك مثل ذلك الكنز، وبوساطة من الرب، الذي يتولى دوماً حماية الفقراء المتواضعين، أودع الثقة في كلمات الراهب، ثم إنهم استقبلوا الصليب باحترام لائق، وهو صليب الرب، وحملوه إلى داخل قلايتهم، وحافظوا عليه هناك بكل تقوى وتشريف عظيم، وبدأت المعجزات اللاهوتية تحدث في هذا العام -حسبما تحدثنا من قبل -في ذلك الدير في سبيل مجد وحمد الصليب المانح للحياة، فهنا جرت إعادة الموتى إلى الحياة، واسترد الأعمى نظره، وامتلك العرجان القدرة على المشي، وشفيت جلود المصابين بالجذام وغدت نقية، وتحرر الذين تلبسهم الشياطين منهم، وكل شخص مريض اقترب من الصليب

المذكـور مع اليقين، غـادر المكان وهو سليم معـافى، ولقـد قيل بأن هذا الصليب قد جـرى تعبده مـراراً، ليس فقط من قبل الانكليز، بـل أيضاً من قبـل الناس الذيـن هم من منـاطق نائيـــة، ومن الذيـن سمعـــوا بالمعجـزات اللاهوتيـة التـي اقترنت به [وفي حـوالي ثمانيـة الرسـولين: بطرس وبولص، وصل جـون دي بريين ملك القـدس، والمقـدم الأعلى للاسبتاريـة في ذلك المكان، إلى انكلترا، لطلب المساعدة مـن أجل قضية الأرض المقدسة].

كيف وضع ملك انكلترا بين يديه قلاع التاج على الرغم من رغبات البارونات

عـــام ١٢٢٤م، فيـه عقـــد الملك هنري بلاطـه أيام عيـد الميـلاد في نورثأمبتون، وكـان معه رئيس أساقفة كانتربري، وكـذلك عدد كبير من الفرسان، وأمـا إيرل شيستر فقد أقام احتفال العيد مع المتـآمرين معه في ليستر، حيث تبجح وتلفظ بتهـديدات ضـد الملك وضـد المسؤول عن العـدالة، وجـاء ذلك بسبب طلب الملك منه التخلي عن الـوصـاية على قلاعـه وأراضيه، وفي اليوم نفسـه، بعد الفراغ من القـداس المهيب، قام رئيس أسـاقفة كـانتربري وأسـاقفته المسـاعـدون، وهم يرتدون الأردية البيضاء، ومعهم شمـوع مضاءة، فأعلنوا عن الحرمـان الكنسي لكل من يخرق سلام المملكة، وكذلك للذين يغـزون الكنيسة المقدسة، وممتلكات الكنيسة، ثم أرسل رئيس الأسـاقفة المذكور رسالة خـاصة إلى ليستر إلى ايرل شيستر والمتعـاونين معه،مخبراً إياهم جميعـاً، وفـرداً فرداً، أنهم مـالم يقوموا في اليوم التالي، بوضع جميع القلاع والمراتب العالية العائدة للتاج بين يدي الملك، ســوف يقـوم هو مع جميع الأســاقفـة بشكل مــؤكـد بحـرمـانهم كنسياً بالاسم، وذلك حسبما تلقـوا الأوامـر من البـابا بفعل ذلك، وبناء على ذلك بات ايرل شيستر مع جميع المتعاونين معه في مأزق كبير، ولاسيما بعدما جرى اخبارهم من قبل جواسيسهم بأن الملك لديه

فرق عسكرية قوية أكبر من التي لديهم، لأنه لو توفرت لديهم الوسائل الكافية لعملوا حرباً ضد الملك بسبب المسؤول عن العدالة،لكن لإدراكهم لعجزهم كانوا خائفين من الدخول في صراع مشكوك فيه، علاوة على ذلك كانوا خائفين من أن يقوم رئيس الأساقفة والأساقفة بحرمانهم كنسيا، مالم يقلعوا عن قصدهم، ولذلك اتبعوا أحكم خطة وأعقلها، فذهبوا جميعاً إلى الملك في نورثأمبتون، وقام كل واحد منهم، شروعاً بايرل شيستر فتخلوا إلى الملك عن القلاع، والبلدات والمراتب العليا وعن مسؤوليتها وعن كل ما هو عائد للتاج، وبقيت على كل حال، نواياهم السيئة تجاه الملك وضده لأنه رفض صرف المسؤول عن العدالة، وكان الذين أثاروا هذه الاضطرابات ضد الملك هم: ايرل شيستر، وايرل ألبيمارل، وجون قسطلان سيشتر، وفالكاسيوس مع رجال قلاعه، وروبرت دي فيبونت، وبرين دي لاآيل، وبطرس دي موليون، وفيليب مارك، وانغلارد دي آثي، ووليم دي كانتيلو، ووليم ابنه، وآخرون كثر، كانوا يستخدمون غاية جهودهم لافساد سلام المملكة واثارة الاضطراب فيها.

كيف أخضع لويس ملك فرنسا روشيل وبقية بواتو

قاد في العام نفسه لويس ملك فرنسا جيشاً كبيراً إلى روشيل Ro-chelle للاستيلاء عليها بالقوة أو بالرشوة، ولدى وصوله إلى هناك، عرض على السكان مبلغاً كبيراً من المال، مقابل تسليمه المدينة، وتقديم الولاء له، ولإطاعته في المستقبل، وفكر هؤلاء، فرأوا أنهم كانوا مهجورين من قبل ملك انكلترا، وأنهم مغلوبين باغراءات لويس ورشاويه، فتخلوا عنها لصالحه، وعند ذلك وضع فرسانه وجنوده في المدينة والقلعة، وبعدما ضمن جميع منطقة بواتو عاد إلى الوطن بسلام، من دون سفك للدماء، وروشيل هي ميناء بواتو، حيث اعتاد ملوك انكلترا وفرسانهم على الرسو من أجل الدفاع عن تلك المناطق، لكن

الطريق أغلق الآن ضد الملك، بسبب المؤامرات التي أعدت ضده من قبل البارونات في انكلترا.

حصار بدفورد ومؤتمر نورثأمبتون

وفي العام نفسه، في ثمانية الثالوث المقدس، اجتمع الملك، ورؤساء الأساقفة، والأساقفة، والايرلات والبارونات وعدد كبير آخر، في مؤتمر في نورثأمبتون للبحث في شؤون المملكة، لأن الملك رغب بالحصول على نصيحة نبلائه وآرائهم حول ممتلكات ماوراء البحر، التي استولى عليها لويس بدرجات، وكذلك المسائل الأخرى التي وقعت ولم تكن متوقعة، وكان موجوداً في ذلك الوقت في دنستيبل بعضاً من رجال العدالة لدى الملك الذين نسميهم «الجوالين»، وهم: مارتن دي بيتشول Pateshulle، وتوماس دي ميولتون Muleton، وهنري دي بريبروك Braibroc مع آخرين كانوا متسلمين هناك مرافعات الملك من أجل قضية العصيان الأخيرة، وهناك ارتمى فالكاسيوس مع آخرين، تولوا نهب كثير من الناس، على رحمة الملك، من أجل أكثر من ثلاثين زوجاً من الرسائل، في كل منها كان هو عليه أن يدفع غرامة إلى الملك مبلغاً قدره مائة باوند، وعندما جرى اخبار فالكاسيوس بهذا، غضب غضباً عظيماً، وقام بطريقة حمقاء، فأمر فرسانه الذين شكلوا حامية قلعة بدفورد بالزحف نحو دنستيبل مع كتلة من الجنود لاعتقال رجال العدالة المذكورين، وبعد ضمان اعتقالهم، احضارهم إلى قلعة بدفورد، ووضعهم في سجن محكم، وعرف رجال العدالة بهذا، فغادروا مسرعين إلى حيث قادهم الحظ،وكان من بين هؤلاء قد هرب هنري دي بريبروك من دون مايكفي من الاحتراز، لذلك جرى اعتقاله من قبل الفرسان المذكورين أعلاه، وبعدما عومل بوحشية كبيرة، سجن في قلعة بدفورد، وانتشر خبر ماحدث، فذهبت زوجة هنري المذكور إلى الملك في نورثأمبتون، وقدمت وهي تبكي شكوى حول اعتقال زوجها، وجاء

ذلك على مسمع من المجلس الملكي كله، وانفعل الملك وغضب كثيراً تجاه هذه الفعلة، وطلب نصحية الكهنة والناس الذين اجتمعوا هناك، حول ماالذي ينبغي القيام به لمعاقبة هذه الجريمة، وكان رأيهم كلهم بالاجماع هو تأجيل جميع الأعمال الأخرى، ووجوب الزحف من دون تأخير مع قوة مسلحة نحو القلعة المذكورة، لمعاقبة مثل هذه الجريمة، ولاقى هذا الرأي قبول الملك، واتفق مع آرائه، فأصدر أوامره، فطار الجميع إلى السلاح، وزحف رجال الدين والناس كذلك إلى قلعة بدفورد، ولدى وصول الملك إلى هناك أرسل رسلاً إلى شحن القلعة الرئيسيين، وطلب منهم الخضوع، وأمرهم بإعادة هنري دي بريبروك، رجل عدالته، وقام على كل حال وليم دي بروت Breaute وهو أخو فالكاسيوس مع آخرين من الحامية، باخبار الرسل جواباً على ماطلبه بأنهم سوف لن يسلموا القلعة، مالم يتلقوا أمراً بفعل ذلك من مولاهم فالكاسيوس، لاسيما وأنهم غير مرتبطين بيمين ولاء أو تابعية إلى الملك، الذي إليه حملوا هذا الجواب عند عودتهم، وبذلك كان الملك غاضباً جداً، وأمر وهو غاضب جنوده بتطويق القلعة، وأعد المحاصرون أنفسهم أيضاً لمقاومة جنود الملك، وللدفاع عن الأسوار وعن الشرافات في كل مكان، وعندها قام رئيس الأساقفة ومعه جميع الأساقفة بانزال عقوبة الحرمان الكنسي بفالكاسيوس وبجميع حامية القلعة، وفعلوا ذلك والشموع مشتعلة، ووضعت القلعة تحت الحصار في السادس عشر من حزيران، الذي وافق يوم الثلاثاء التالي بعد ثمانية الثالوث، وجرى بأمر من الملك، احضار آلات الحرب من أمثال المجانيق والعرادات، وجرى توزيعها من حول المدينة، وشرع الجيش المحاصر يقوم بحملات شديدة ومتوالية على القلعة، ودافع المحاصرون -على كل حال -عن الأسوار بشجاعة، وأرسلوا بمقذوفات مميتة على المحاصرين، ولكي أتحدث باختصار، لقد جرت اصابة الكثيرين بالجراحة وقتلوا من على الجانبين، وفي أثناء حصار القلعة، أرسل الملك مجموعة من الجنود

للبحث عن فالكاسيوس، ولدى العثور عليه، جلبه إلى حضرته، وجرى على كل حال انذار المذكور وتحذيره من قبل جواسيسه، فهرب إلى ويلز، وعاد رسل الملك إليه وأخبروه بأن جهودهم كانت بلاثمار، وغضب الملك كثيراً، فأقسم بروح والده أنه إذا جرى اعتقال رجال الحامية بالقوة، فلسوف يشنقهم جميعاً، وقد استثير هؤلاء أكثر لاقتراف المزيد من الخطأ،بموجب تهديد الملك، فمنعوا رسل الملك من الحديث معهم ثانية حول موضوع تسليم القلعة، وهكذا تضاعفت الكراهية والضغينة بسبب أعداد الذين قتلوا، وبذلك لم يوفر الإخوة اخوانهم ولا الآباء أولادهم، وأخيراً تمكن رجال الملك، بعد مذبحة كبيرة من على الجانبين، من بناء برج خشبي مرتفع، وفق مبادىء الهندسة، وقد وضعوا في البرج رماة قسي زيارة، يمكنهم منها مراقبة كل حركة في القلعة، ومنذ ذلك الحين لم يعد بإمكان أحد في القلعة خلع دروعه، مالم يكن قد تعرض لجراحة مميته، ولم يتوقف المحاصرون لهذا السبب عن قتل أعدائهم، ففي أثناء وجود بعض الفوضى داخل جيش الملك قتلوا فارسين من رجاله، كانا قد عرّضا بطيش كبير نفسيهما للموت، وبذلك أثاروا غضب أعدائهم ضدهم بكل الوسائل الممكنة.

الاستيلاء على القلعة وشنق الفرسان

وأمر الملك في تلك الأثناء بالاستيلاء على قمح فالكاسيوس ومواشيه في قراه وأراضيه في جميع أرجاء المملكة، ومصادرة ذلك كله، حتى يتمكن بهذه الوسائل لدى امتداد أعمال الحصار من الحصول على المؤن على حساب عدوه، وأخيراً أحضر جنود الملك، لكن ليس من دون خسائر كبيرة منجنيقين أطلق على أحدهما الفرنسيون اسم Bru-tesches، وهاجم القلعة من جميع الاتجاهات، وأرغم المحاصرين على التراجع، ودخل وقتها جنود الملك القلعة، فاستولوا على الخيول والدروع والمؤن، ثم هاجم المنتصرون البرج، ودمروا شطراً كبيراً من

الأسوار، ورأى المحاصرون وقتها أنفسهم أنه لم يعد بامكانهم الصمود أي وقت أطول، فقاموا في أمسية صعود القديسة مريم بإرسال بعض رجال الحامية من القلعة، يلتمسون رحمة الملك، لكن الملك أمر باعتقالهم والاحتفاظ بهم في مكان مضمون، وذلك حتى يتمكن من اخضاع البقية، وفي اليوم التالي خرج البقية، وهم مصابون بشكل مرعب ومجروحون، وقد أخذوا إلى أمام الملك، الذي أمر بشنقهم جميعاً، وجرى شنق أربعة وعشرين من فرسان وجنود الحامية، وهؤلاء لم ينالوا الرحمة من الملك بسبب العدوانية التي أظهروها نحوه في الحصار الأخير، وعاد هنري دي بريبروك سالما وصحيحاً إلى الملك،وقدم له شكره، وكان قد خيل لفالكاسيوس بسوء تقديره أن أتباعه يمكنهم الدفاع عن القلعة والحيلولة دون سقوطها لمدة سنة كاملة، وعندما سمع بشكل مؤكد بأن أخاه والبقية من رفاقه قد شنقوا، قدم تحت كفالة الاسكندر أسقف أوف كوفنتري، ووصل إلى الملك في بدفورد، وترامى على قدمي الملك ورجاه اظهار الرحمة نحوه، تقديراً منه لخدماته الكبيرة والنفقات العظيمة الذي بذلها لصالحه ولصالح والده في أيام الحرب، وحصل الملك وقتها على المشورة حول هذا الموضوع، فجرده من قلاعه وأراضيه وأملاكه، وأودعه في السجن لدى يوستاس أسقف لندن، إلى أن يقرر الذي ينبغي عمله معه، وهكذا حدث في لحظة واحدة أن تحول فالكاسيوس من الرجل الأغنى، إلى الرجل الأفقر بين الناس، وهو بذلك قدم مثلاً جيداً لكثير من الناس، وخاصة إلى المجرمين، وفيما يتعلق بهذا التغيير بالحظ، كتب أحدهم هكذا:

«وهكذا في شهر شديد فقد فالكو

الذي كسبه خلال سنين من الصراع؛

جرده القدر الآن مما قد كلفه

إيّاه خلال جميع حياته الماضية».

ومثلت زوجه فالكاسيوس هذا أمام الملك وأمام رئيس الأساقفة، وقالت بأنها لم تتزوجه بموافقتها، ولهذا فانها لما كانت قد اعتقلت بالقوة في أيام الحرب، وتزوجت منه من دون موافقتها، طالبت بالطلاق منه،ولذلك عين رئيس الأساقفة يوماً لتأتي به إليه، حتى يقرر في الوقت نفسه الذي يتوجب عليه عمله، وعلى كل حال، منحها الملك جميع أراضيها وممتلكاتها في جميع أنحاء انكلترا، ووضعها تحت رعاية وليم ايرل وارني Warrenne وبسبب الجهد الكبير الذي بذله الملك والنفقات العالية التي دفعها، فرض ضريبة على الأراضي المفلوحة في جميع أرجاء انكلترا،وقدرها ماركين من الفضة على كل محراث، وفرض ضريبة بدل على النبلاء، وقدرها ماركين من النقود الاستيرلينية على كل محلجة، ثم إنهم عادوا جميعا إلى مواطنهم، وأمر الملك بتهديم القلعة،فتحولت إلى كومة من الحجارة، وأعطى البيوت والأبنية الأخرى إلى وليم بوشامب. Beauchamp

منح جزء من خمسة عشر جزءاً من جميع الأشياء المتحركة إلى الملك

عام ١٢٢٥م، فيه عقد الملك هنري بلاطه في عيد الميلاد في ويستمنستر، وفيه كان رجال الدين والناس بين الحضور، وكذلك نبلاء المنطقة، وبعد الاحتفال بالعيد بشكل مهيب، طرح هيوبرت دي بورغ، المسؤول عن العدالة الملكية، باسم الملك المذكور، وبيّن بحضور رؤساء الأساقفة، والأساقفة، والايرلات، والبارونات وجميع البقية، الخسائر والأضرار التي عانى منها الملك في مقاطعات ماوراء البحر، وبذلك ليس فقط الملك، بل أيضاً كثيراً من الايرلات والبارونات، بالاضافة له، قد حرموا من مواريثهم، وبما أن كثيرين كانوا مهتمين بهذه الأمور ولهم

عـلاقة بها، فإن مسـاعدة الكثيرين سـوف تكون ضرورية، ولذلك سأل نصحيـة ومسـاعـدة الجميع، لتبيـان الوسـائل التي يمكن بها للتـاج الانكليـزي أن يسترد المراتب التي فقدها والامتيـازات القديمـة، ولكي يمكن تفعيل هذا كما ينبغي، اعتقـد أنه سيكون كـافياً لو أنه جـرى منح جـزء من خمسـة عشر جزئـا من الممتلكات المتحـركـة إلى الملك في جميع أنحـاء انكلترا وأن يفعل ذلك رجـال الدين والعلمانيين، وبعـد طرح الاقتراح، قـام رئيـس الأسـاقفـة مع جميـع المحتشـدين من الأسـاقفـة والايرلات، والبـارونات، ورعـاة الديرة، ورؤساء الرهبـان، بالتبـاحث حـول الموضوع، وبعـد شيء من النقاش قـدمـوا جوابهم، بأنهم سـوف يقبلون عن طـواعيـة بمطالب الملك، إذا مـا منحهـم امتيـازاتهم التي يطالبون بها منذ زمن طويل، وبناء عليه اقتنع الملك بسبب نهمه بالموافقة على طلبهم، وجرت كتابة صكوك ختمت بخـاتم الملك، وجرى ارسال نسخـة منهـا إلى كل كـونتيـة في انكلترا، وأمـا الكونتيـات التي كـانت مـوجـودة في داخل غـابة، فقـد أرسل إليهـا نسختين، نسخـة حـول الامتيازات العـامة، والأخرى حول امتيـازات الغابة، وقد جـرت كتابة محتويات هذين الصكين من قبل في تاريخ حكم الملك جون، ولم تختلف صكوك الملكين عن بعضهـا في أية نقطة، ثم تقـرر تحديـد يوم في شهـر الفصح ليجـري اختيـار اثني عشر فـارسـا واقطاعيـا، لكل كـونتيـة في المملكة، الذي يتوجب عليهم بعد أداء اليمين تمييز الغابات الجديدة عن الغابات القـديمة، من أجل اكتشـاف الذي عمل غاباتاً منذ أيـام تتويج الملك هنري جـد الملك الحالي، حتى تتم على الفـور نزع الصفـة الغابيـة عنهم، وهكذا ارفـض المؤتمر وأرسلت الصكوك كل واحـد منهـا إلى كـونتيتـه الخاصـة، حيث جـرى بناء على أمـر الملك، ومن خـلال قسم مكتوب، وجوب مراعاتها من قبل الجميع.

كيف أرسل الملك الانكليزي أخاه رتشارد إلى غاسكوني

وفي العام نفسه، وفي يوم عيد طهارة القديسة مريم، عمل من رتشارد أخي ملك انكلترا فارساً بنطاق، ومعه عشرة آخرين، جرى تعيينهم لخدمته ورعايته، وفي الربيع التالي، في يوم أحد السعف جرى ارسال رتشارد المذكور من قبل الملك إلى غاسكوني، يرافقه وليم ايرل أوف سالسبري، وفيليب دي ألبيني وأربعين فارساً، وبعد رحلة موفقة، وصلوا جميعاً سالمين إلى مدينة بوردوكس Bourdeaux، ولدى وصولهم أعلموا بذلك رئيس الأساقفة والسكان، فاستقبلوا بالتشريف من قبل الجميع، ثم قام رتشارد باستدعاء السكان للاجتماع مع رئيس الأساقفة وبحضوره، وبحضور رسل الملك، فأراهم رسائل أخيه، التي فيها رجا بتواضع جميع رعاياه المخلصين في تلك المناطق استقبال أخيه بشكل سلمي وودي، وتقديم النصحية له والمساعدة حتى يكون قادراً على استرداد أراضيه الضائعة، واستقبلته جميع الفئات بطرائق صديقة، وقدموا خضوعهم إلى ملك انكلترا من خلاله ، ثم وصل اليه عدد من الفرسان والجنود من تلك المناطق، وبقيوا في خدمته مقابل استلام عطاء كاف منه،لأن الملك كان قد أعطاه قبل ارساله الى مقاطعات ما وراء البحر كونتية كورنوول Cornwall مع جميع بواتو، ولهذا السبب عرف باسم كونت بواتو ،ووقتها زحف الكونت رتشارد مع عمه وليم ايرل— سالسبري وفيليب دي البيني ، يحيط بهم مجموعة كبيرة من الفرسان ، وساروا خلال البلدات وبين القلاع والمناطق ، وكانوا حيثما واجهوا مقاومة ممن لم يقدم الولاء ، ولم يعط الطاعة الى الملك، يتولون محاصرة قلاعهم وبلداتهم ، ويرغموهم على تقديم الطاعة بالقوة والسلاح، واستولى بعد حصار طويل على قلعة ريوكسRieuxمع البلدة، وتملك مدينة القديس ماكير Ma-caire وحاصر قلعة بريغيراك Bregerac وأعاد صاحبها إلى ولائه الى الملك ، لكن أثناء حصاره لقلعة ريوكس ، والهجوم عليها باستمرار ، أرسل لويس ملك فرنسا أوامر الى كونت أوف مارشي

والنبلاء الآخرين في بواتو، بالزحف الى تلك القلعة ، ورفع الحصار عنها ، واحضار الكونت رتشارد أسيراً ليمثل أمامه ، وبناء عليه قام كونت أوف مارشي بعدما التحق به بعض البارونات والفرسان المسلحين، بالزحف مع قوة كبيرة لرفع الحصار عن القلعة المذكورة أعلاه، وعلم بذلك الكونت رتشارد مع رفاقه ، وأخبره كشافته باقتراب وصول الأعداء ، فنصب كميناً لهم، وترك شطراً من قواته لمتابعة الحصار ، وسار هو ومعه كتلة من الجنود المجربين ، الى غابة كانت قريبة ، وانتظر هناك وصولهم ، وعندما كان هؤلاء يمرون عابرين للكمين ، قام الكونت وأتباعه بالانقضاض عليهم وسط زعقات الأبواق ، وهم مادين لرماحهم ومشرعين لها ، ونجم عن ذلك صراع عنيف بين الفئتين ، وأرغم العدو أخيراً على الفرار ، وقد طارد الكونت رتشارد بشدة فلول الأعداء ، وبعدما قتل عدداً من الفارين ، استولى على عرباتهم ، وعلى خيول تحميلهم ، وعلى أوانيهم الفضية وأسلاب أخرى ، وبذلك تمكن في وقت قصير من اخضاع غاسكوني كلها.

ومات في العام نفسه جون أسقف أوف إيلاي، وقد خلفه غيوفري دي بورغ ، رئيس شمامسة نورويك.

نفي فالكاسيوس الخائن

وفي هذه الآونة أي في شهر آذار ، اجتمع ملك انكلترا مع نبلائه في مؤتمر في ويستمنستر، فيه أمرهم الملك بالوصول الى قرار نهائي ، حول ما ينبغي فعله مع الخائن فالكاسيوس ،وقد اتفق النبلاء مع الملك ، أنه قد خدم الكثير من السنوات أباه بإخلاص ، وعلى هذا ينبغي عدم حرمانه من الحياة أ و من واحد من الأطراف ، غير أنهم وافقوا بالاجماع على إدانته ، والحكم عليه بالنفي بشكل دائم من انكلترا ، وعندها أمر الملك وليم إيرل وارني warenne

بمصاحبته وهو سليم الى الساحل، وهناك وضعه على ظهر سفينة ، لإرساله على الفور الى عرض البحر ، وعندما وصلا الى الساحل ، وأثناء صعود فالكاسيوس على ظهر السفينة ، قدم رجاء الى الايرل وهو يبكي بأن يحمل تحياته الى مولاه الملك ، وأن يبين له، بناء على قسمه، بأن الاضطراب الذي تسببه في انكلترا، أثير على فعله بتحريض من نبلاء المملكة ، ثم اطلق الأشرعة ومعه خمسة من المرافقين فقط نحو نورماندي ، ولدى وصوله الى هناك اعتقل على الفورمن قبل وكلاء الملك الفرنسي وحمل الى أمام لويس ، ولكن بما أنه كان يحمل شارة الصليب ، فقد أطلق سراحه ، فذهب الى روما، حيث ظهر أمام البابا مع روبرت باسلوpaslew الذي كان كاهنه، وسوف نتحدث عن مثوله أمام البابا في المكان المناسب.

معاينة الغابات لمعرفة أيها ينبغي إعفاءه من قوانين الغابات

في حوالي شهر الفصح من العام نفسه، انطلق هوغ دي نيفيل وبرين دي لآيل مع الأشخاص المعينين الآخرين ، للتجول في جميع أرجاء انكلترا، بغرض اختيار في كل منطقة غابية اثني عشر فارساً ورجلاً حراً واقطاعيين للبحث عن حدود الغابات ، وللتقرير — بناء على أداء اليمين — أي الغابات ينبغي أن تبقى في وضعها الحالي، وأيها ينبغي نزع الصفة الغابية عنها، وجرى تنفيذ أوامر الملك على الفور لكن ليس من دون معارضة كبيرة من كثيرين ، وقام بعضهم أفراداً وجماعات بوضع هذه الامتيازات موضع التنفيذ ، فباعوا منتوجات أحراشهم، وعملوا حظائر ، ومناطق صيد ، وفلحوا الأرض التي كانت من قبل غير مزروعة ، وهكذا فعل الجميع ما اختاروه في الأحراش التي رفعت عنها الصفة الغابية ، ولم يتمتع البشر فقط بهذه الامتيازات ، بل تمتع بذلك الكلاب، الذين اعتادوا من قبل على لبس النعال، وباختصار استفاد من هذه الامتيازات، النبلاء،

والفـــرسان والاقطاعيـــون الأحـــرار، وهكـذا لم يجر حـــذف صك الملك.

جمع الجزء من خمسة عشر جزئاً من الممتلكات من أجل استخدامات الملك

وجرى في هذه الآونة جمع نصف جزء من خمسـة عشر جزئاً من جميع الممتلكات المتحـركـة من أجل استخدامـات الملك ، وجـرى منح ايصـال من أجل دفـــع الجزء المتبقي حتى عيـد القـــديس ميكائيل، ودفع في هذا العـام أيضـاً هوغ بيغود ايـرل انغليان الشرقيـة - East Anglians دين الطبيعة ، ووضع الملك جميع ممتلكاته ومـراتبه العليا تحت عهدة المسؤول عن العدالة

حول خليلات الكهنة

صـدرت في العـام نفسـه مـذكـرة عـن رئيس أسـاقفـة كـانتربري وأساقفتـه المساعدين من أجل الغـاية التالية :سـوف لن تنال خليلات الكهنة ورجـــال الدين الـذين هم في الطوائف الدينيـــة ويتمتعـــون بالمنافع، دفناً كنسيـاً، ما لم يقمن بإصلاح حيـاتهن بشكل صحيح ، أو أن يبدين توبة كبيرة في أواخر أيام حياتهن تمكنهن من نيل التحليل ، علاوة على ذلك لن يسمح لهن بنيل قبلة السـلام،أو المشاركة في نيل الخبز المكرس في الكنيسـة ، طالما عشاقهن يحتفظـون بهن في بيوتهم، أو بشكل مكشوف في مكان آخـر،وكذلك إنهن إذا مـا أنجبن أطفالاً، لن يتطهرن، ما لم يقدمن سلفاً ضمانة الى رئيس الشمامسة، أو لموظفه ، تكون كـــافيـة بـأنهن سـوف يصنعن توبـة مـوائمـــة أثناء الاجتماع الكهنوتي بعـــد طهـارتهن،عـلاوة على ذلك ، إن جميـع الكهنة الذين يسكن في أبرشيـاتهم خليلات من هذا النوع،سـوف يجري تعليقهم، مالم يقوموا بإخبـار رئيس الشمامسة أو موظفة بذلك ، وقبل تحليلهم

سوف يخضعون الى عقوبة قاسية، وكذلك يتوجب على كل امرأة ضبطت بوجود صلات جنسية مع أي كاهن، أن تقوم بتوبة مهيبه ومعلنة وكأنها أدينت بالزنا ، ومع ذلك من الممكن تحليلها، ولكن إذا ما أدينت إمرأة متزوجة بجريمة من هذا النوع سوف تعاقب وكأنها زنت بشكل مضاعف خشية أن الافلات من العقوبة على اقتراف مثل هذه العقوبة سوف يقود آخرين الى اقتراف تلك الجريمة.

كيف نجا ايرل أوف سالسبري من غرق السفينة

وفي هذه الآونة أقلع مبحراً وعائداً الى انكلترا ايرل أوف سالسبري ، الذي كان يقاتل مع الكونت رتشارد في مناطق ما وراء البحر،وقد تعرض الى خطر عظيم ، واقتيد في مختلف الاتجاهات بفعل عنف الرياح،واستمر ذلك لعدة أيام وليال بشكل عام مع بحارته وجميع الذين كانوا على ظهر السفينة، ولدى فقدانه كل أمل بالنجاة، عهد الى الأمواج بخواتمه الثمينة وبجميع ممتلكاته من الفضة والذهب، والملابس الغالية، التي كانت معه على ظهر السفينة، من أجل أنه كما دخل عارياً الى الحياة الفانية،بذلك يمكنه العبور الى مناطق الخلود وهو مجرد من جميع الأمجاد الأرضية، وأخيراً عندما كانوا في حالة اليأس الأخيرة ، شوهد ضوء عظيم مشع من على رأس السارية ، من قبل جميع الذين كانوا على ظهر السفينة ، ورأوا أيضاً واقفاً الى جانب الضوء سيدة ذات جمال عظيم ، حافظت على ضوء الشمعدان، الذي أنار ظلام الليل، حافظت عليه حياً على الرغم من قوة الرياح والمطر الذي تساقط عليه، ومن هذه الرؤيا السماوية للنور، شعر الكونت نفسه وكذلك البحارة بالأمل بالنجاة، وتصور بإطمئنان بأن المساعدة الربانية باتت موجودة، ومع أن بقية الناس في المركب كانوا جاهلين بما بشرت به هذ الرؤيا، فإن الايرل وليم

المتقدم الذكر كان في اليوم الأول الذي عمل فيه فارساً بنطاق ، قد كرس شمعداناً ليبقى مشتعلاً بشكل دائم أمام مذبح أم الرب المباركة، أثناء القداس الذي جرت العادة بأن يغنى به كل يوم في ساعة الصلاة، تشريفاً للعذراء المذكورة، وذلك من أجل أن يتلقى تعويضاً دائماً من أجل الضوء الدنيوي.

كيف نجا الايرل المذكور من مصائد أعدائه

وعند حلول صباح اليوم التالي سيق الايرل مع أصحابه، بقوة العاصفة نحو جزيرة رهي Rhe وذلك على بعد ثلاثة أميال عن روشلي Rochelle،وبما أنهم صاروا في قواربهم الصغيرة، أخذوا طريقهم الى الجزيرة ، وكان في تلك الجزيرة، دير للرهبان السسترشيان ، واليهم أرسل الايرل رسلاً طالباً السماح له ليخفي نفسه عن أعدائه، حتى تهب رياح موائمة ، وعن طواعية منحه راعي الدير ذلك ، واستقبله مع أتباعه المسافرين بكل ترحاب، وكانت هذه الجزيرة آنذاك ، في عهدة سافاريك دي موليون، الذي كان آنذاك يقاتل تحت قيادة لويس، ملك فرنسا، وكان يتولى حراسة عدة جزر مع قوة كبيرة من الجند ، وكان اثنان من أتباعه يعرفان الايرل معرفة جيدة، وكان قد جرى تعيينهما مع آخرين لحراسة الجزيرة ، فذهبا بطريقة صديقة الى الايرل، وبعدما استراح هناك لمدة ثلاثة أيام ، أخبراه أنه ما لم يغادر الجزيرة قبل صباح اليوم التالي، سوف يجري اعتقاله من قبل أصحابها الذين كانوا يتولون حراسة الجزيرة والبحر من حولها ، وعندها قدم الايرل الى الجنديين هدية قوامها عشرين باوند من النقود الاستيرلينية ثم أقلع على الفور، وصار في وسط البحر، حيث مكث ثلاثة أشهر قبل أن يتمكن من الرسو في انكلترا.

كيف وصل المعلم أوتو الى انكلترا لقضاء أشغال قداسة البابا

ووصل الى انكلترا في العام نفسه المعلم أوتو، بمثابة نائب للبابا، وقدم رسائل الى الملك حول مسائل ملحة تتعلق بالكنيسة الرومانية ، لكن الملك عندما علم بمقاصد الرسائل ، أجاب أنه لا يستطيع شخصياً— ولا يجوز له — إعطاء جواب محدد حول القضية، لأن ذلك هو مسؤولية جميع رجال الدين والعلمانيين في المملكة بشكل عام ، ولذلك ، قام بناء على نصيحة ستيفن رئيس أساقفة كانتربري ، بتحديد يوم ، يكون في ثمانية عيد الغطاس، من أجل اجتماع رجال الدين والعلمانيين في ويستمنستر، حتى يتمكنوا وقتها من البحث في القضية المتقدم ذكرها ، ولسوف يقررون الذي سيبدو لهم صحيحاً

كيف سعى أوتو المذكور الى إقامة سلام بين فالكاسيوس والملك

وبعد ذلك بوقت قصير، قام أوتو باسم البابا، بتواضع بتقديم رجاء الى ملك انكلترا حتى يتصالح مع فالكاسيوس،وأن يعيد إليه زوجته،وجميع ممتلكاته التي فقدها،وأن يستقبله ثانية على شروط الصداقة،كما كان قد خدم والده باخلاص وخدمه شخصيا في أيام الحرب،وعلى هذا أجاب الملك بأنه بسبب خيانته المكشوفة،قام بنفيه من انكلترا،وأن ذلك جاء بموجب قرار بلاطه مع موافقة جميع رجال الدين والناس في المملكة،وصحيح أن العناية بالمملكة معهود بها بشكل خاص اليه،هو عليه مراعاة القوانين والأعراف المقررة للمملكة،وعندما سمع اوتو هذا،توقف عن طلب أي شيء آخر من الملك لصالح فالكاسيوس،ثم قام أوتو بأخذ ماركين من الفضة من كل كنيسة ديرية

في انكلترا،تحت عنوان مال الوكالة،وينبغي أن نعرف أيضاً أنه عندما جاء المعلم أوتو الى انكلترا، أرسل البابا رسلاً الى جميع أنحاء الدنيا،طالباً جبايات غير عادلة،كما سنتحدث فيما بعد.

حول احدى الفتيات التي تخلت عن الدنيا وانسحبت الى طائفة الفرنسيسكان

وكان هناك في هذه الآونة فتاة من أصل نبيل في مقاطعة بيرغندي،كان أبواها قد عيناها ميراثاً ممتلكاتاً واسعة،وقد رغبا في اعطائها زوجة الى رجل له أصل مشهور ،لكن الفتاة التي كانت قد تمثلت منذ صغرها التعليم الحر،قد كرست بالسر،من قلبها الطاهر، عذريتها الى الرب، وبناء عليه غادرت مسكن والديها متنكرة بثياب حاج،وكانت الوسيلة الأسهل للفرار من أمام نظرهما،وحملت نفسها الى دير لبعض الرهبان من طائفة الفرنسيسكان، وقامت هناك بناء على طلبها ، وتماشياً مع الأحكام القاسية لتلك الطائفة،فخلعت نعليها،وألبست نفسها المسوح، وبإزدراء قصت شعرها الجميل،وسعت بكل وسيلة في حدود امكاناتها، لأن تحول جمالها الطبيعي الشخصي الى كل نوع مشوه،وبعدما حاولت هذا،لكن من دون فائدة،لأنها لم تكن قادرة،ضد إرادة الرب على تشويه جمال تناسقها الجسدي،الذي كان لايقارن في جميع توزيعاته،صبت جهودها على تكريس نفسها الى القرين الدائم، الذي هو في السماء،حيث أن طهارة الجسد كانت دائمة،وأسهل لتنفيذ غايتها وجعلها مؤثرة،وبناء عليه اختارت عن طواعية حياة الفقر،واتخذت لنفسها عمل الوعظ المقدس،وألبست نفسها ثياباً خشنة،واتخذت حشية من القش لتتمدد عليها،ووسادة من الحجر،وعاقبت الجسد بالسهر الدائم والصوم المتواصل، وتولت في صلواتها الملحة شغل نفسها بالتأمل في الأشياء السماوية، وبعدما أمضت عدة سنوات في تقشفها وحياتها القدسية ، قامت بالدراسة،

ولكي ترضي الرب ، شرعت بالتبشير بانجيل السلام خلال المدن والقلاع، ولاسيما بين النساء، وبات عدو الجنس البشري مزعوجاً جداً من كمالها ، فطوقها لمدة سبعة أشهر بكثير من المغويات الكبيرة، ولولا أنها كانت مؤيدة بالعون الرباني، لفقدت كل فضائل ايحاءات حياتها الماضية، لأن الشيطان أعاد إلى ذاكرتها ليلاً ونهاراً، وفرة أملاك والديها التي تخلت عنها،ومنتجات الكروم المثمرة، والمروج الجميلة المزينة بمختلف أنواع الزهور، والأصوات الجميلة لاندفاع المياه، والجداول الجارية البديعة، والأشجار العالية في الغابات، والخصوبة في الأولاد، ومعانقة الزوج، والتمتع بالحب،والفراش الناعم للأغنياء،وحركات البهجة، والخواتم الفخمة والجواهر، والمذاق الطيب للسمك، والفروج،ولحم الطرائد، وفي وسط هذه المغويات وما يماثلها، كانت الفتاة شبه يائسة ، وغالباً ما انغمست تفكر حول آراء متشعبة، وعما إذا كان عليها العودة إلى تركته، أو المثابرة على العمل الديني، وقد أمضت في هذه الحالة من العذاب في كل من الجسد والتفكير أياماً وليالي، لكن الرب الرحيم الذي لا يسمح للذين يثقون به أن يتعرضوا للغواية فوق طاقة الاحتمال، أعاد الى الفتاة عين الصواب،حتى تمكنت من اكتشاف كم هي عظيمةالأشياء الدنيوية وكم تحتاج من عناية وتعب ، ومعها كذلك المسارّ التي تقدم ذكرها، وكم هو مخجل ومهين الاتصال الجنسي، وكم هو كبير الجهد الذي يبذل في سبيل نيل الثروة الدنيوية وكم هو محزن فقدانها، وكم هو عظيم وهام المحافظة على الطهارة العذراوية مع الرب، الذي رغب في أن تكون أمه منتجة ، وبالوقت نفسه أن تبقى عذراء، والسرور الذي يتبع الأعمال الصالحة،والمتعة المتوفرة في التأمل المقدس واللاهوتي ، ووحدة سكان السماء، وكم هو طيب وممتع سرور الأرواح المقدسة لدى حكمها مع المسيح، حيث لا يوجد تأثير للبرد، والجوع والعطش لا تأثير لهما على أي إنسان، وحيث ما من أحد

يتملكه الغضب أو يؤثر عليه،ولا الخصام ، ولا المجد العابث، ولا الحسد، ولا التكبر، ولا الحقد، ولا الشره ولا الحسد، ولا الغيرة وغالبا ما رعت هذه العذراء المباركة هذه الأفكار وما يماثلها، وفي وسط جميع زوابع الاغواءات ، استمرت بالمحافظة على فضائلها السالفة، ولكونها مسلحة بأسلحة الرب ، هزمت بسعادة جميع المؤامرات الخادعة للشيطان وأرسلت به مضطرباً الى الجحيم.

كيف تحررت هذه الفتاة بوساطة شيطان من مغتصب

وبعد عدة أيام ، عندما تحررت هذه الفتاة تماماً من هجمات الشيطان هذه ، عاد اليها وحياها قائلا:«البقاء لك يا سيدتي ،أيتها العذراء المحبوبة من رب السماء، أنا الشيطان، الذي اقتادك مؤخراً لمدة سبعة أشهر من دون غاية ولا محصلة، الى عدد كبير من المغويات، من أجل ابعادك عن نواياك ، وللايقاع بك في هذه المتاعب، لكن بما أنني هزمت من قبلك، وأخفقت في مساعي المخادعة، لقد فرضت عليّ عقوبة من رب السماء، وهي أنني لن يسمح لي من الآن فصاعداً إغواء أي جنس من المخلوقات أو إعاقة أي واحد عن القيام بالأعمال الصالحة ، علاوة على هذا لقد أمرت من قبل الرب، الذي علي طاعته، أن أقوم على الفور بتنفيذ كل الذي تأمريني به ، وكذلك تحمل أي عقوبة من الممكن أن تفرضيها عليّ، ولدى سماع الفتاة بهذا قالت للشيطان:«إن ربي يحميني من أي تداخل معك، ومن أي واحد من أتباعك، لأنه يعلم بأنني لم أحب قط أي خادم من هذا القبيل»، وحدث بعدما قالت الفتاة هذا ، أنها ذهبت الى إحدى المدن للحصول على مأوى ومبات ، فدخلت إلى بيت امرأة، وحصلت على مأوى منها لتبات فيه معها، وعاد في المساء رجل شاب، كان هو ابن السيدة المذكورة، عاد الى البيت من عمله المعتاد وعندما رأى المرأة الشابة ، التي منحتها والدته مأوى صدوراً عن

الاحسان والصدقة، بدأ يعجب من التكوين الطبيعي والتوزيع لأعضائها التي كانت مغطاة بثياب متواضعة جداً، وذلك على الرغم من أنها كانت شاحبة ونحيفة،لأن فيها جاء تكوين الطبيعة كاملا تماماً، لأنه لم يكن هناك من عيب فيها من أخمص قدمها حتى أعلى رأسها، بل إنها أظهرت بتوزيع وتناسق جسدها كله بوضوح نبالة أصلها وعنصرها، واشتعل الرجل الشاب بالرغبة لنيل العذراء، و اقترب منها طالباً منها تلبية رغبته، وقد رفضت بردها بحزم، طلب الشاب، وأعلنت أنها منذ صغرها قد كرست عذريتها الى الرب، وعلاوة على ذلك أعلنت أنه كفضيلة فرضت عليها من قبل نذرها الديني ومن قبل طائفتها ، أن لا تقوم بخرق ذلك التكريس، وبهذه الكلمات ابتعدت لتأخذ مكان إقامتها الليلية في إحدى زوايا البيت، حيث قامت تماشياً مع أحكام طائفتها الدقيقة بمد حصير تحت جسدها لتكون فراشاً لها،وحجرة لتكون بمثابة وسادة لها تحت رأسها ، وكان الرجل الشاب متحرقاً تماماً برغبته الجنسية ولذلك قرر في قلبه أنه إذا لم يتمكن من الحصول على موافقة الفتاة طواعية ، سوف يحقق غرضه بالقوة، ولذلك ذهب اليها وأخبرها بما قرره، وشعرت المرأة المتدينة وقتها بآلام عظيمة في عقلها، وخشيت من تدمير عذريتها الطاهرة ، من قبل الشاب المتحرق رغبة، وهنا تذكرت ما كان الشيطان قد أخبرها به ، وهو أنه سوف يلبي على الفور أية رغبة تريدها، فرفعت صوتها وقالت:«أيها الشيطان ، أين أنت»؟ وأجابها الشيطان على الفور«يا سيدة ، أنا هنا ، ما الذي تريدينه» ؟ وعندها قالت الفتاة:« حررني من هذا الشرير الذي أزعجني، ولا يسمح لي بالنوم »، وقام على الفور، بسحب الرجل الشاب بالقوة من قدميه ورماه بعيداً بعيداً ،جداً عن المرأة الشابة ، وفعل ذلك ثلاث مرات خلال تلك الليلة ، وبذلك تحررت بوساطة الشيطان من عنف الرجل الشاب،وفي الصباح غادرت المدينة عذراء كما دخلتها ، لكن ما الذي

حدث للفتاة في النهاية غير معروف بالنسبة إليّ، وبناء عليه لا بد في الذي رويته كفاية ورضا للذين يحبون التقوى والصلاح.

حول إحدى الناسكات التي لم تتناول طعاماً لمدة سبع سنوات

وماتت في العام نفسه إحدى الناسكات في مدينة ليستر، وكانت لم تتناول طعاماً من أي نوع لمدة سبع سنوات قبل وفاتها ، باستثناء أنها في يوم الأحد شاركت في تناول قربان جسد ودم مولانا، وعندما وصلت أخبار هذه المعجزة الى مسامع هوغ أسقف لنكولن لم يضع ثقته في القصة، ورفض تصديقها كلية، وأمر بالناسكة المذكورة فوضعت في سجن محكم تحت حراسة كهنتها ورجال دينها لمدة خمسة عشر يوماً، وعندها برهنت خلال تلك المدة كلها أنها لم تتناول أيا من الأطعمة الجسدية ، وأن بشرتها كانت دوما بيضاء مثل الزنبق، مشربة باللون الأحمر الوردي ، كعلامة على الاحتشام والطهارة العذرية.

كيف رفضت كونتسة سالسبري الزواج

وصلت في هذه الآونة أخبار الى ملك انكلترا بأن عمه وليم ايرل أوف سالسبري قد غرق وهو عائد من مقاطعات ما وراء البحر،وعندما كان غارقاً في أحزان الحدث ، جاء اليه هيوبرت المسؤول عن العدالة في المملكة،وطلب منه اعطاء زوجة الايرل وليم المذكور لتكون زوجة لحفيده ريموند الذي آلت اليه رتبة تلك الايرليه بحق الوراثة ،وأعطى الملك الموافقة على هذا الطلب على شرط تمكنه من الحصول على موافقة تلك الكونتسة نفسها، وأرسل مسؤول العدالة على الفور ريموند المذكور في أبهة فروسيته الى الكونتسة ليسعى للحصول على موافقة تلك السيدة ، وعندما حاول ريموند المذكور بالكلام الناعم والوعود العظيمة أن يحصل على

موافقتها، ردت عليه بغضب عظيم أنها تسلمت مؤخراً رسائل تخبرها بأن زوجها كان سالماً وبحالة طيبة ، ثم أضافت بأنه لو كان زوجها بالفعل قد مات، فإنها لن تقبل به بأي حال من الأحوال زوجاً، لأن نبالة أسرتها تمنع مثل هذا الزواج، ثم قالت له:« ابحث عن زوجة في مكان آخر ، لأنك سوف تجد بالخبرة أنك قدمت الى هنا من دون غرض» ، ولدى تلقي ريموند هذا الرد غادر وذهب وهو مضطرب.

كيف طالب صاحب القداسة البابا بعطاء كهنوتي لاستخداماته

عام ١٢٢٦م،فيه احتفل الملك هنري بعيد الميلاد في وينكستر،بصحبة بعض الاساقفة وعدد من النبلاء،وبعد الاحتفال بهذا العيد بشكل لائق،ذهب الى مارلبورا،حيث أصابه مرض أقعده بالفراش لأيام كثيرة وهو في حالة ميئوس منها،وحل الآن في الوقت نفسه الموعد المحدد من أجل عقد مؤتمر في ويستمنستر في عيد القديسة هيلاري،حيث كان من المتوجب على الملك،ورجال الدين والنبلاء،العائدين لمملكة انكلترا الحضور لسماع رسالة البابا،وبناء عليه احتشد كثير من الاساقفة مع آخرين من رجال الدين والعلمانيين في المكان المذكور أعلاه،وتولى المعلم أوتو، رسول مولانا البابا، الذي تقدمت الاشارة اليه أعلاه،قراءة رسائل البابا، على مسمع من الجميع،وعرض البابا في هذه الرسائل الاساءات الكبيرة وسوء استخدام كنيسة روما المقدسة،وتولى بصورة خاصة إدانة الجشع،على أنه أصل جميع الشرور،وبشكل خاص أنه لايمكن لأي انسان تدبر أي عمل في بلاط روما،من دون اسراف بانفاق الأموال مع تقديم هدايا كبيرة، لكن بما أن فقر الكنيسة الرومانية هو السبب وراءجميع هذه الذنوب والشرور المسماة،فإن من واجب الجميع إزالة حاجة وفقر أمهم وأبيهم،بحكم أنهم أبناء طبيعين،ولأننا إذا لم نتسلم أعطيات منكم ومن الرجال الآخرين الصالحين والأشراف،سوف نكون

بحاجة للانفاق على ضروريات الحياة، وسوف يكون ذلك كله متنافراً مع كرامة ومكانة الكنيسة الرومانية،وبناء عليه إنه من أجل تدمير هذه الاساءات تدميراً كاملاً توصلنا مع نصيحة إخواننا كرادلة الكنيسة الرومانية المقدسة إلى وضع بعض القواعد، التي إذا ما وافقتم عليها سوف نحرر أمنا من الإهانة،ونحصل على العدل في بلاط روما من دون الحاجة الى تقديم هدايا،والقواعد التي وضعناها هي التالية : نحن نريد في المقام الأول الحصول على عطائين(أووقفين)كهنوتيين ليمنحا إلينا من جميع الكنائس الكاتدرائية ،يكون أولهما عطاء من حصة الأساقفة،والثاني من حصة هيئة الكهنة،ومن الديرة وفق الطريقة نفسها،هناك حصص متنوعة لراعي الدير وللدير ،ومن رهبان الديرة،حصة راهب واحد،على أساس توزيع متساوي يعمل على ممتلكاتهم،والشيء نفسه من راعي الدير».

وبعد تقديم هذه المقترحات،تولى المعلم أوتو بناء على تفويض من مولانا البابا،توجيه النصيحة الى أساقفة الكنيسة الذين كانوا حاضرين شخصيا بالموافقة،وأوضح المنافع المذكورة أعلاه في الرسائل،وعندها اعتزل الأساقفة الذين كانوا وقتها بين الحضور جانباً، للتشاور حول القضية، وبعدما تناقشوا حول الاقتراحات لبعض الوقت، أنابوا جون رئيس شمامسة بدفورد فذهب ووقف أمام المعلم أوتو، وأعطاه الجواب التالي على مطالبه قائلا:«سيدي ، إن الأشياء التي عرضتها علينا فيها إشارة الى الملك بشكل خاص، والى المسؤولين عن الكنائس بشكل عام، وفيها أيضاً إشارة الى رؤساءالأساقفة مع مساعديهم من الأساقفة والى أعداد من الكهنة ذوي المراتب في انكلترا، وبناء عليه ، إنه بسبب مرض الملك ، ولغياب بعض رؤساء الأساقفة والأساقفة والكهنة الآخرين من ذوي المراتب ، نحن لا يمكننا — كما انه لا يجوز لنا — بغيابهما اعطاءك جواباً،لأننا إذا

مـا أقـدمنا على فعل ذلك ، سيكـون في ذلك الحاق الضرر بجميع الذين هم غيـاب»، وبعد هذا جـرى ارسال جون المارشـال ورسل الملك الآخـرين الى الكهنة ذوي المراتـب، المستحـوذين على مـراتب بارونيـة رئيسية مـن الملك، ليمنعوهم بكل دقـة من اشراك رسـومهم المدنية واخضـاعها لكنيسـة روما، فبـذلك سوف يكون حرمـاناً من الخدمـات المستحقـة له شخصيـاً، وعند سماع المعلم أوتو بهذا ، عين يوماً في منتصف الصوم الكبير من أجل الـذين كانوا آنذاك حضوراً للاجتماع ، وعندما يتم الحصول على حضور الملك والكهنة الغائبين، وبذلك يمكن وقتها إيصال هذه القضية إلى نهاية ، لكنهم لم يوافقوا على التـاريخ الذي حـدده من دون الحصول على مـوافقـة الملك مع الآخرين الذين كانوا غياباً، وبهذه الطريقة عادوا جميعاً الى الوطن.

الموت الرائع لوليم ايرل أوف سالسبري

وشفي في تلك الأثناء ملك انكلترا، تمامـاً من مـرضـه في مـالبـورا، وإليـه قـدم الى هناك وليم ايرل أوف سـالسبري ، الذي تمكن بعـد صعوبات جمة ، وبعـد تعرضه طويلاً للمخاطر في البحـر، من الرسو في كورنوول cornwall أيام عيـد الميلاد، وقـد استقبل بسرور عـارم من قبل الملك ، وعلى الفـور وضع أمامـه شكوى جادة ضـد المسؤول عن العـدالة ، بين فيها أنه عندمـا كان في المقـاطعات الأجنبيـة يعمل لصالح الملك ، أرسل مسؤول العدالة رجلاً من نسب منحط، سعى من أجل صنع اتصـال اجـرامـي مع زوجتـه، وهو مـا يزال على قيـد الحياة، وأن يعقـد معها عقد زواج زنى بالقوة، وأضـاف أنه ما لم يقم الملك بجعل مسـؤول العدالة يقـدم على إعطائـه ترضية كـاملة ، هو نفسـه سينتقـم لهذه الجريمـة العظيمـة ، ولهذا الافسـاد الكبير لسـلام المملكة ، ولأن مسؤول العدالة كـان حاضراً، فقد اعترف بخطيئته، وتصالح مع الايرل بوساطة هدايا من الخيول الثمينة والهدايا الكبيرة

الأخرى، وبذلك صار صديقاً مع الايرل،وإثر ذلك قام مسؤول العدالة هذا بدعوة الايرل الى مائدته، حيث يقال بأنه سمه سراً، لأن الايرل ذهب الى قلعته في سالسبري، فتمدد في فراشه وهو مريض بشكل كبير، وإزداد المرض واستفحل، ولدى شعوره بعلامات الموت ، بعث الى أسقف المدينة ليأتي إليه، حتى يتلقى الطقوس المتعلقة بالاعتراف، وليشارك بقربان الموت المسيحي ، وأيضاً لكي يعمل وصية رسمية فيما يتعلق بأملاكه،وعندما دخل الأسقف الى الغرفة التي تمدد فيها الايرل، وهو ليس مرتدياً شيئاً سوى سراويله ، قفز هذا الايرل من فراشه، ووقف أمام الأسقف ، الذي كان حاملاً لجسد ربنا ، وربط حبلاً خشناً حول رقبته ، وألقى بنفسه على الأرض، واعترف وهو ينوح بشكل متواصل بأنه كان شخصياً خائناً للملك العظيم ، ولن يسمح لنفسه بالنهوض حتى يقوم بالاعتراف ، ويشارك في قربان القداس المانح للحياة، ليبرهن عن نفسه بأنه عبد لخالقه، وهكذا استمر في أعظم حالات التوبة لعدة أيام ، حتى أسلم روحه الى مخلصه، وعندما جرى حمل جسده من القلعة الى الكنيسة الجديدة، التي كانت على بعد حوالي الميل،ليدفن هناك، ظلت الشموع، التي جرت العادة بحملها مشتعلة مع الصليب وكذلك المباخر، وذلك على الرغم من زخات المطر والرياح العنيفة، واستمرت الإضاءة طوال الطريق، وبذلك ظهر بشكل واضح بأن الايرل قد تاب توبة نصوحة، وأنه صار منتمياً الى تعداد أبناء الضياء.

كيف سعى المعلم أوتو الى مصالحة الملك مع فالكاسيوس

ووصل في تلك الآونة المعلم أوتو رسول البابا الى ملك انكلترا، وطلب منه باسم قداسة البابا استقبال فالكاسيوس في الحظوة ، وأن يعيد إليه زوجته، وأراضيه، وأملاكه، وجميع المقتنيات الأخرى التي أخذت منه، لكن الملك رد عليه، بأن فالكاسيوس، قد حكم عليه ،

بسبب الخيانة المكشوفة بالنفي الأبدي، وصدر هذا الحكم من قبل جميع رجال الدين والناس، وهو حكم لا يمكن ايقافه من دون العمل بشكل معاكس لأعراف المملكة المؤسسة قديماً، ولدى تلقي المعلم أوتو لهذا الجواب، توقف عن القيام بأية مطالب أو مباحث أخرى حول القضية، ثم إنه بعث برسائله الى جميع الكنائس الكاتدرائية أو الديرية في جميع أرجاء انكلترا، طالبا منهن أموال الوكالة المستحقة لرسل الكنسية الرومانية ، وحدد مبلغ كل وكالة بأربعين شلناً.

مجمع بورجي الذي ترأسه رومانوس المندوب البابوي الى الفرنسيين

وفي حوالي هذا الوقت نفسه،جرى ارسال رومانوس من قبل مولانا البابا الى فرنسا ، ليمارس هناك أعمال المندوب البابوي، وبعد وصوله جمع الملك الفرنسي، رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورجال الدين الغاليين مع كونت طولوز، لعقد مجمع ، من أجله وغاياته جرى إرساله الى تلك البلاد، كما ستبين الرواية التالية ذلك: فقد عقد المجمع في بورجي Bourges وقد حضره رؤساء أساقفة: ليون، ورايمز، وروان، وتور، وبورجي ،وأوكسين، وكان رئيس أساقفة بوردوكس في روما، وكانت كنيسة نربونة من دون رئيس أساقفة، ولقد اجتمع حوالي مائة من الأساقفة المساعدين من تسع مقاطعات مع رعاة الديرة ورؤساء الرهبان، ومفوضين عن كل هيئة كهنة، وذلك من أجل حمل رسالة البابا، هذا وقد ادعى رئيس أساقفة ليون السيادة على رئيس أساقفة السين، ورئيس أساقفة روان السيادة على رؤساء أساقفة: بورجي، وأوكسين، ونربونة، وخاف أساقفتهم المساعدون من زيادة الخلافات برعايتها ، ولذلك لم يجلسوا كما لو أنهم في مجمع، بل وكأنهم في حالة تداول وتشار وبعد ما جلس الجميع ، وقرئت

رسائل البابا ، مثل أمامهم كونت طولوزمن جانب، وسيمون دي مونتفورت من الجانب الآخر، وقد طالب سيمون بتسليمه أراضي ريموند كونت طولوز ، وهي الأراضي التي كانت قد منحها له فيليب ملك فرنسا ، وكذلك أبوه، وقدم كتابات كل من البابا وفيليب، فيما يتعلق بهذه المنحة ، وعلاوة على ذلك أضاف بأن الكونت ريموند قد حرم في المجمع المسكوني في روما وجرد بسبب الهرطقة ، وشمل الحرمان على الأقل الشطر الأكبر من الأرض التي يمتلكها الآن، وأوضح الكونت ريموند في جوابه بأنه سوف يفعل كل ما ينبغي أن يفعله نحو الملك الفرنسي والكنيسة الرومانية حتى يحتفظ بميراثه ، وهنا طلبت منه الفئة المضادة الالتزام بحكم اثني عشر من نظرائه الاقطاعيين الفرنسيين ، وعلى هذا رد ريموند : « ليقم الملك أولاً بتلقي ولائي، وعندها سوف أكون جاهزاً للمقاضاة ، وبدون ذلك ربما لن يعترفوا بي نظيراً اقطاعياً لهم »وبعد كثير من الردود من على الجنبين، أمر النائب البابوي رؤساء الأساقفة والأساقفة الذين كانوا حضوراً، بأن يجتمع كل منهم مع أساقفته المساعدين على انفراد في مكان خاص للتباحث حول القضية المتقدم ذكرها ، ومن ثم أن يقدموا اليه نتيجة مداولاتهم، بشكل مكتوب، ثم إنه حرم كنسياً كل من يفشي خططه حول هذه القضية ، قائلاً بأنه يود أن يشرحها الى البابا، وأن يخبر بها الملك الفرنسي شخصياً.

كيف أعطى النائب البابوي خداعاً الإذن لمندوبي الكهنة بالمغادرة

وبعد هذا المجمع، أعطى النائب البابوي الإذن خداعاً إلى مندوبي هيئات الكهنة بالعودة الى مواطنهم، وأبقى رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورعاة الديرة، ورجال الدين العاديين ، ولهذا السبب كان الأخيرون خائفين ، ولم يكن ذلك من دون سبب ، في غياب أولئك

الأكثر براعة وخبرة ، والذين بسبب عددهم ، هم الأقدر على معارضة النائب البابوي سوف يتم لذلك اتخاذ بعض القرارات الملزمة أثناء غياب رجال الدين، وبناء عليه قام مندوبو الكهنة بالتداول، وبعد مباحثات طويلة، بعثوا مندوبين من الكنائس المطرانية الى النائب البابوي، وقد شرح له هؤلاء الوضع بقولهم ما يلي:«لقد سمعنا يا مولانا بأن لديك رسائل من بلاط روما تتعلق بالحفاظ على العطاءات الوقفية اللاهوتية في جميع الكنائس الديرية ، وأنت لم تقم في اجتماع التداول الأخير بإعلانها على مسامعنا ، نحن الذين في موضع المسؤولية الخاصة تجاهها ، ولذلك نلتمس منك باسم الرب بأن لا تدع هذا النزاع يتفجر في الكنيسة الفرنسية بوسائطك، لأننا نعلم تمام المعرفة بأن مثل هذه الخطة لا يمكن وضعها موضع التنفيذ من دون اقتراف آثام كثيرة ، وإحداث ضرر لا يمكن تصوره، ولنفترض أن أي واحد سوف يوافق على ذلك ، إن موافقته لن تكون جائزة في المسألة المتعلقة بنا جميعاً وذلك عندما جميع الشيوخ والناس بشكل عام، وكذلك الملك نفسه والنبلاء على استعداد لنقد ذلك ومعارضته ، الى حد لو أن ذلك قاد الى تعريض حياتهم لخطر الموت، ولفقدانهم مراتبهم العالية ، وخاصة أنه سيكون بالمطالبة العدوانية بهم دمار المملكة والكنيسة بشكل عام ، وشيكاً،والسبب الداعي لخوفنا هو أنك لم تبحث هذه القضية مع الممالك الأخرى وأنك أمرت بعض الأساقفة ورعاة الديرة ، أنهم حيثما وجدوا العطاءات الوقفية اللاهوتية شاغرة ، الاحتفاظ بها لصالح البابا».

كيف طالب المندوب البابوي بعطائين من الأساقفة لاستخدامات كنيسة روما

ولدى استلام المندوب البابوي للرسالة المذكورة أعلاه، وأثناء مسعاه

لاقناع الجميع بالموافقة على طلبه، قام آنذاك للمرة الأولى بعرض تفويض البابا ورسالته التي طالب فيها بعطائين وقفيين كهنوتيين من كل كنيسة من الكنائس الكاتدرائية، عطاء من الهيئة الكهنوتية والعطاء الآخر من الأسقف، وبالطريقة نفسها بالنسبة للأديرة، حيث هناك حصصاً متنوعة، أي حصص رعاة الديرة، وحصص الدير، هذا ولقد طالب بعطائين، واحد من راعي الدير، والثاني من الدير، وطلب من الدير حصة راهب واحد، أثناء التوزيع المتساوي للممتلكات، وذلك حسبما فسر النائب البابوي ذلك شخصياً، والشيء نفسه من راعي الدير، ثم أخذ يشرح ويبين المنافع التي ستحصل من ذلك، أي أن ذلك سوف يزيل من الكنيسة الرومانية، التي هي الأم لجميع الكنائس، ويرفع عنها تهمة الجشع، التي هي أصل جميع الشرور، فما من أحد سوف يرغم على تقديم أية هدية، من أجل تسهيل العمل في بلاط محكمة روما، وما من أحد سوف يتسلم هدايا عندما يجري تقديمها.

اعتراضات المشرفين المفوضين على المطالب المذكورة أعلاه

وقال مندوب رئيس أساقفة ليون في جواب على هذا الطلب: «نحن ياسيدي لانرغب مطلقاً أن نكون بلا أصدقاء في بلاطك، أو أن لانتمكن من منح الهدايا»، وبين المندوبون الآخرون بالطريقة نفسها انعدام المنافع والمحبطات التي سوف يعملون في ظلها، مثل خسارة الممتلكات، والمشورة، والمساعدة، وأنواع الرعاية الأخرى، فبهذه الطريقة: «سوف يكون هناك باستمرار في كل أسقفية، أو على الأقل في كل مقاطعة، رسولاً، أو وكيلاً رومانيا، هو لن يعيش اعتماداً على وسائله، بل سوف يفرض غرامات ثقيلة وبدلات ويجبيها من الكنائس الأكبر، وربما من الكنائس الأصغر، وبذلك لن يكون هناك أحداً يتمتع بالحصانة، والشخص الذي يسمى المندوب المشرف هو الذي سوف يفرض مكوس وضرائب الأساقفة»، كما أنهم قالوا بأن التوزيع بين

الهيئات الكهنوتية سوف يتبع ذلك، لأن من المحتمل أن يأمر البابا، إذا ما اختار، المشرف المفوض من قبله، أو شخصاً آخر أن يكون حاضراً ممثلاً له في الانتخابات، وهذا سوف يثير الاضطراب بينهم ويزعجهم، وهذا سوف يجعل مع مرور الأيام الانتخابات تتحول إلى الاعتماد على بلاط روما، الذي سوف يتولى تعيين رومان، أو أشخاصاً مكرسين لهم، في جميع الكنائس، أو على الأقل في معظمها، وبذلك لن تكون هناك فئة من رجال الدين المحليين أو من رؤساء رجال الدين، وذلك بقدر ماسيكون هناك رجال لاهوت سوف يقدمون المزيد من التقدير إلى بلاط روما، أكثر مما سيقدمونه إلى الملوك أو المملكة، وأضافوا أيضاً أنه إذا ماتم التوزيع الصحيح للممتلكات، فإن ذلك البلاط سوف يصبح كله غنيا، لأن رجاله سوف يتسلمون أكثر من الملك نفسه، وبذلك لن يصبح الشيوخ أغنياء فقط بل الأغنى بين الناس، وبما أن علة الغنى هي التكبر، فإن المتكبرين نادراً ماسيصغون إلى المتشكين، بل سوف يطردونهم بلاتوقف، والذين دونهم سوف يكتبونهم غير راغبين، والبرهان على هذا واضح، لأنه حتى في هذه الآونة نراهم يؤجلون الأعمال بعد تلقيهم هدايا واستلامهم لضمانات، وهكذا سوف تكون العدالة في خطر، وسوف يرغم الشكاة على الموت عند أبواب رؤسائهم المتحكمين بهم، أي الرومان، وكذلك بما أنه من الصعب لنبع الشره أن يجف، فإن الذي يفعلونه الآن سوف يفعلونه آنذاك بوسائل الآخرين، ولسوف يحصلون على هدايا أكبر بكثير لوكلائهم وقتها، منها الآن، لأن الهدايا الصغيرة توزن الآن مع الأغنياء الجشعين من الناس، وعلاوة على ذلك فإن الثروة الكبيرة سوف تسبب الاحتكاك بين المواطنين الرومان أنفسهم، وبذلك سوف تنشب خلافات كبيرة وخصومات بين مختلف الوكلاء، ويخشى من أن هذا سوف ينعش ويستغل من أجل تدمير المدينة كلها، الأمر الذي ليست متحررة منه حتى في هذه الآونة، كما أنهم أضافوا، بأنه من الممكن للذين هم موجودين الآن أن يصدقوا على

هذا ويتعهدوا به، لكن لايمكنهم ربط خلفائهم به، كما أنهم لن يمتلكوا الارغام على الطاعة كأمر مشروع، واختصروا الموضوع كله أخيراً بقولهم : «من المحتمل يامولاي أن تقوم العاطفة الغيورة للكنيسة كلها وللكرسي الروماني المقدس بعزلك، وإذا ما جرى وضع هذا الظلم العام موضع التنفيذ، علينا أن نخشى أن سيكون الانفصال العام وشيكاً، نرجو الرب أن يجنبنا ذلك»، ولدى سماع النائب البابوي هذا، بدا وكأن مشاعره الطيبة قد تحركت نحوهم، فأجاب بأنه لم يوافق قط على هذا الطلب عندما كان في البلاط في روما، وأنه تلقى الرسائل بعدما وصل إلى فرنسا، وأنه كان آسفاً كثيراً بسبب هذه الأشياء، كما أنه أضاف بأنه يفهم بأن جميع الأوامر في هذه القضية قائمة على الفهم الضمني بأن الامبراطورية والممالك الأخرى سوف توافق عليها، كما أنه قال بأنه لن يقوم بمحاولات أخرى حول هذه القضية حتى يقدم الأساقفة في أرجاء المملكة الأخرى موافقتهم، الأمر الذي لم يعتقد بأنه سيحدث.

كيف عاد المعلم أوتو مرغماً إلى روما

وفي الصوم الكبير من العام نفسه، كان المعلم أوتو، رسول الامبراطور، على طريقه إلى نورثأمبرلاند لفرض ضريبة الوكالة المتقدم ذكرها، وقد وصل إلى نورثأمبتون، وفي ذلك المكان وصلت إليه رسائل من البابا، منحت بناء على طلب من رئيس أساقفة كانتربري، وقد حوت هذه الرسائل أمراً إلى أوتو المذكور، بالعودة فور رؤيتهم إلى روما، لأن نفوذه هناك كان قد تدمر تماما، وما أن ألقى نظرة على هذه الرسائل، حتى ألقى بهم بالنار وهو مكتئب، وقام على الفور بتغيير خططه، وغادر انكلترا وهو مضطرب، حيث أنه أمر ستيفن رئيس أساقفة كانتربري، حسبما جاء في رسائل البابا، بأن يجمع الملك وجميع رجال دين المملكة للتداول وأن يبعث إلى البابا بجوابهم حول المسألة

التي أرسل أوتو المذكور من أجلها إلى انكلترا، وبعدما أدار ظهره إلى انكلترا، جمع ستيفن، رئيس أساقفة كانتربري جميع المسؤولين عن هذه القضية، ليكونوا في مؤتمر في ويستمنستر بعد عيد الفصح، وهناك قام بحضور الملك وجميع رجال الدين في انكلترا الذين اجتمعوا بناء على دعوته، فقرأ الرسائل المذكورة أعلاه، فيما يتعلق بالهدايا إلى الكنيسة الرومانية، وبعدما سمعوا الرسائل، وفهموا مقاصدها، ضحكوا في قرارة أنفسهم تجاه جشع الرومان الذي لم يفهموا الحكمة الأخلاقية القائلة:

««إنها ليست الثروة بل الفضيلة هي التي سوف تجعل الانسان راضيا،

وليس المحتاج هو الانسان الفقير، بل المنصرف نحو تحصيل الربح».

ثم دعا الملك بعض رجال الدين والنبلاء للاجتماع على انفراد، ثم إنهم أعطوا الجواب التالي إلى رئيس الأساقفة: «إن المنح التي ينصحنا البابا بالموافقة عليها، تتعلق بالجماعة المسيحية كلها، وبما أننا موجودين في أقصى زاوية من العالم، سوف ننظر كيف ستتصرف الممالك الأخرى تجاه هذه المطالب، وعندما نشاهد أمثولتهم سوف يجدنا مولانا البابا أكثر استعدادا في تعاملنا مع هذه المطالب من الآخرين»، وبالتفوه بهذه الكلمات سمح للجميع بالمغادرة.

الحركة الكبيرة التي عملت ضد كونت طولوز

وجرى التبشير في الوقت نفسه بصليبية في جميع مقاطعات فرنسا بشكل عام من قبل النائب البابوي، بأن على جميع الذين يمكنهم حمل السلاح، عليهم حمل شارة الصليب للحملة ضد كونت طولوز وأتباعه، الذين قيل بأنهم تلوثوا بلطخة الهرطقة القذرة، ونتيجة لهذا التبشير حمل عدد كبير من رجال الدين ومن العلمانيين الصليب، وقد اقتنعوا بفعل

ذلك لخوفهم من الملك الفرنسي، أو لنيل الحظوة من النائب البابوي، وكان هذا أكثر من غيرتهم على العدل، لأنه بدا للكثيرين أنه سيكون ذنباً القيام بمحاربة المسيحيين الحقيقيين، لاسيما وأنهم جميعاً كانوا على معرفة، أنه أثناء المجمع الذي انعقد مؤخراً في بورجي، عمل الكونت المذكور توسلات كثيرة ورجا النائب البابوي أن يذهب إلى أية واحدة من مدنه في أراضيه، للبحث في قواعد ايمانهم، وأعلن أنه إذا ما وجد النائب البابوي أيا من سكان أية مدينة يتبنون مواقف وآراء مضادة للإيمان الكاثولكي، هو نفسه سوف يفرض عليهم ترضية كاملة، وأنه إذا وجد أية مدينة في حالة عدم الطاعة، هو سيتولى، بقدر مايملك من طاقة، ارغام تلك المدينة وسكانها على عمل تكفير وتوبة، وبالنسبة له شخصياً، عرض أنه إذا كان قد أذنب بأي حال من الأحوال، الأمر الذي لايتذكر بأنه فعله، أن يقدم ترضية كاملة للرب، وللكنيسة المقدسة، كمسيحي مخلص، وإنه إذا مارغب النائب البابوي هو على استعداد حضور محاكمة من أجل عقيدته، وقد رفض النائب البابوي هذه العروض جميعاً، ولم يستطع هذا الكونت الكاثوليكي الحصول على أية حظوة لديه من دون التخلي عن ميراثه والتنازل عنه بالنسبة له شخصياً ولورثته من بعده، وحمل الملك الفرنسي، بناء على تبشير هذا النائب البابوي، الصليب، ولكنه رفض الذهاب في هذه الحملة، مالم يحصل أولاً على رسائل من البابا إلى ملك انكلترا، يمنعه تحت طائلة عقوبة الحرمان الكنسي، إذا ماأزعج الملك الفرنسي، أو أثار حرباً ضده، بشأن أية منطقة هي الآن في حوزته، سواء أكان ذلك عادلاً أو غير عادل، وذلك طوال المدة التي سيكون خلالها في خدمة البابا وكنيسة روما، في العمل لاجتثاث الهراطقة الألبينيين ومحرضيهم ومشاركي كونت طولوز، وكل من يقدم له العون والمساعدة والنصيحة بالابتعاد عن طريق الايمان، وعين بعد هذا الملك والنائب البابوي يوم صعود ربنا من أجل جميع الذين حملوا الصليب للاجتماع في ليون، تحت طائلة

الحرمان الكنسي، وأن يكونوا مجهزين بالخيول والأسلحة، ليتبعوهما في الحملة المقترحة.

كيف غير ملك انكلترا نيته في عبور البحر

وجمع في الوقت نفسه ملك انكلترا، الذي كان متشوقاً بشدة لغزو مقاطعات ماوراء البحر، مستشاريه، وقرأ عليهم رسائل البابا، التي كان قد بعث بها إليه، وسألهم عن نصيحتهم عن الذي يتوجب عمله تجاه هذا الحظر، وكان الرأي الذي قدمه جميع رجال الدين مع النبلاء هو التعبير عن رغبتهم بتأجيل الحملة المرغوب بها حتى يروا نتيجة هذه المغامرة الصعبة والمكلفة التي تولاها الملك الفرنسي، وكان الملك الانكليزي في تلك الاثناء قلقاً جداً حول أخيه رتشارد الذي كان آنذاك في غاسكوني يتابع الحرب، وقد تشوق الى عودته الى الوطن، وعندما كان الملك هكذا قلقاً ومشغولاً حول أخيه، وكان يرغب بمساعدته، وصل رسل اليه من عند أخيه المذكور، أخبروه أنه كان سالماً معافى، وأن كل شيء كان يسير معه بشكل جيد وموافق، وكان بين مستشاري الملك آنذاك المعلم وليم، الذي كان لقبه بييربونت Pierepunt، وكان منجماً، وقد أعلن بجرأة أمام الملك، أنه إذا ما حاول الملك الفرنسي القيام بالحملة التي كان على وشك الشروع بها، هو إما لن يعود حياً، أو أنه سوف يعاني من خسائر كبيرة في الممتلكات والأتباع، وشعر الملك بسرور عارم لدى سماعه بهذا، ووافق على خطة مستشاريه.

وفاة رتشارد أسقف درم

وكان في العام نفسه رتشارد دي ماريسكو Marisco، أسقف درم يسير مسرعاً مع عدد كبير من المحامين الصاخبين، يريد أن يكون في لندن في اليوم المحدد، ليقوم بالدعوة المهينة ضد الرهبان، وقد نزل على

الطريق في دير بيترـ بورا peter-borough، حيث أوى الى فراشه ليلاً، بعد عشاء فاخر، وفي الصباح الباكر عندما كانت الشمس آخذة بالاشراق، دخل كهنته الى غرفته بهدف ايقاظه، ووجدوه وقتها ميتاً، وشعروا لهذا جميعاً بانقباض، وأبقوا خبر موته سراًحتى مساء ذلك اليوم، لأنه مات دون اعتراف وتناول القربان، ثم إنهم أخبروا رئيس الرهبان بالواقعة الرهيبة وكذلك رهبان الدير، وقاموا بعمل محفة، وحملوا جسده ونقلوه الى الكنيسة في درم من أجل الدفن،وقد مات هذا الأسقف في اليوم الأول من أيار، بعدما بقي شاغلاً للأسقفية لمدة تقارب التسعة أعوام، وهناك واقعة لها علاقة به، نعتقد أننا لايجوز المرور بها صامتين، وهي واقعة حدثت قبل حوالي العامين من موته، فقد ظهر في المنام في إحدى الليالي الملك جون الأخير، الى واحد من رهبان دير القديس ألبان، وكان آنذاك مقيماً في تاينماوث Tynemouth، وكان هذا الراهب صديقاً مقرباً من الملكين: رتشارد، وجون، وتنفيذاً لأشغالهما قد أرسل في بعض الأحيان الى روما، وبعض الأحيان الى سكوتلندا، والى أماكن أخرى كثيرة جداً، وبانجازه لخدماته كان قد كسب حظوة الملكين المذكورين وعندما كان الراهب آنذاك نائماً على حشيته، وقف الملك المتقدم ذكره أمامه في ملابسه الملكية التي اسمها الثياب الامبراطورية، وعرفه الراهب على الفور، وتذكرأنه كان ميتاً، فسأله كيف هي أحواله، فأجابه الملك قائلاً: «مامن أحد أسوأ مني أنا، لأن ثيابي هذه التي تراها هي محرقة وثقيلة الى درجة أن مامن انسان حي يمكنه أن يلمسهم بسبب حرارتهم، أو يلبسهم بسبب وزنهم، إلاّ ويتعرض للموت، ومع ذلك إنني آمل بوساطة الرحمة الربانية التي لايمكن وصفها، أن أحصل في وقت ما على الرحمة، ولذلك ألتمس بحرارة من أخوتك وأرجو أن تخبر رتشارد مارش، الذي هو الآن أسقف درم، أنه مالم يقم قبل موته بتغيير اسلوب حياته الشريرة، ويقوّمها، بتوبة نصوحة، وبتكفير موائم، هناك مكان معدّ له في جهنم،

وإذا ما رفض تصديق كلماتك ورسالتي، ليقم بوضع جميع الشكوك جانباً بهذه الشواهد، فليتذكر أننا عندما كنا معاً لوحدنا في مكان يعرفه بشكل جيد، اقترح عليّ خطة، راقت لي وله شخصياً، وهي أن أقوم بأخذ محصول سنة من الصوف من الرهبان السسترشيان، ولقد اقترح عليّ أيضاً خططاً أخرى شريرة، أنا أعاني من أجلها عذاباً لايوصف، وهو ماينتظره، وإذا ماستمر متردداً في تصديق رسالتي، عليه أن يتذكر، بأنه أعطاني في المكان نفسه، وفي الوقت نفسه حجرة كريمة كان قد اشتراها بمبلغ كبير»، وبهذه الكلمات اختفى الملك، واستيقظ الراهب مندهشاً.

وبعد وفاة رتشارد أسقف درم، طلب رئيس الرهبان مع رهبان الدير الاذن من الملك من أجل انتخاب أسقف، وبناء عليه اقترح عليهم الشماس لوقا، ورجاهم أن يستقبلوه بمثابة أسقف لهم، وأجابه الرهبان — على كل حال — بأنهم لن يستقبلوا أي واحد مالم يكن قد جرى انتخابه بشكل قانوني، وبناء على هذا الرفض، أعلن لهم الملك، وأشفع اعلانه بالقسم أنهم ينبغي أن يبقوا من دون أسقف لمدة سبعة أعوام، مالم يقبلوا لوقا المتقدم الذكر ليحتل منصب الأسقفية، وكان الرهبان -على كل حال -قد اعتقدوا أنه شخص غير لائق لمثل هذا المنصب الرفيع، فقاموا بموافقة جماعية من جماعتهم، بانتخاب كاهنهم وليم، الذي كان رئيس شمامسة ووركستر، وكان رجلاً متعلماً، ومستقيماً، وقدموه إلى الملك، وعمل الملك بعض الاعتراضات التافهة، ورفض استقباله، وبناء عليه أرسل الرهبان بعضاً منهم إلى روما، للحصول على تثبيت الانتخاب، بموجب سلطة الحبر الأعظم، وعندما سمع الملك بهذا، أرسل أسقف شيستر، ورئيس رهبان لانتوني Lantony إلى روما، لمعارضة الرهبان، ولإعاقة مقاصدهم، ولأنهم استمروا في الخلاف لمدة طويلة استمرت القضية من دون حسم.

- ٦٥٥١ -

حصار أفينون من قبل لويس ملك فرنسا

وحل في الوقت نفسه موعد عيد صعود ربنا، ففي ذلك اليوم صدرت الأوامر إلى جميع الصليبيين الفرنسيين الذين كانوا تحت قيادة الملك والنائب البابوي بالتجمع من دون تأخير، وكان الملك قد أنهى جميع إعداداته في ليون، فأخذ طريقه وارتحل مع قواته، وكانت هذه القوات جيشاً -كما بدت -عملاقاً لايقهر، وقد تبعها النائب البابوي، ورؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورجال الدين الآخرون التابعون للكنيسة، وقدّر تعداد الجيش بأنه حوى حوالي الخمسين ألفاً من الفرسان، والجنود الخيالة، وذلك إلى جانب الجنود الرجالة، الذين كان من الصعب تعدادهم، ثم قام النائب البابوي فأعلن على الملأ الحرمان الكنسي لكونت طولوز ولجميع مشجعيه، ووضع جميع أراضيه تحت الحرمان من شراكة المؤمنين، وكما قلنا انطلق الملك مع الأعلام وهي تخفق والترسة وهي تلمع، وكان زحفه مرعباً حتى بدا وكأنه جيش من القلاع وهو يتحرك، وأخيراً دخل إلى مقاطعة كونت طولوز، وفي يوم أحد الشعانين وصلوا جميعاً إلى أفينون Avignon، التي كانت أول المدن في ممتلكات الكونت يصلون إليها، وقد قرروا على الفور أن يبدأوا هجومهم من هناك، وبالتالي اخضاع جميع أراضي الكونت مع سكانها من البداية حتى النهاية، ولدى وصول الملك والنائب البابوي طلب بشكل مخادع الاذن من السكان السماح لهم بالعبور من خلال المدينة، قائلين بأنهم قدموا إلى هناك بنوايا سليمة، وطلبوا معبراً من خلال المدينة حتى يتمكنوا فقط من تقصير مسافة زحفهم، وقام السكان بالتباحث حول هذا المطلب، وبعد ذلك لم يصدقوا تأكيداتهم، وقالوا إن مقصدهم الحصول داخل المدينة لنوايا عدوانية، وليس لاختصار المسافة، وهنا غضب الملك، وأقسم أنه لن يغادر المكان حتى يستولي على المدينة، وأمر على الفور بصف آلات قذفه حول المكان، وقام بهجوم

حاد، ونشب الآن قتال شديد استخدمت فيه بشكل متواصل: المجانيق، والقسي العقارة، وجميع أنواع الأسلحة الأخرى، وكانت المدينة -من جهة أخرى -لم تتعرض من قبل للهجوم عليها من قبل عساكر معادية، وكانت مدافع عنها بشكل جيد، بوساطة: خنادق، وأسوار، وسواتر دفاعية، وشرافات، وكانت من الداخل مشحونة بشكل جيد بالفرسان، وبآلاف من الجنود، كما كانت مزودة بشكل جيد بالخيول، وبالسلاح، وبأكوام من الحجارة من أجل المجانيق، وتوفرت فيها آلات رمي ومجانيق، كما كانت المؤن فيها وافرة، ولذلك لم يكن هناك خوف من المهاجمين، وقد قام المدافعون عن المدينة بشجاعة برمي حجرة مقابل حجرة، وسلاح مقابل سلاح، ورمح مقابل رمح، وسهم مقابل سهم، وأوقعوا جراحات مميتة بالقوات الفرنسية التي حاصرتهم.

الموتان والمجاعة بين المحاصرين

وبعدما استمر الحصار لوقت طويل، نقصت المؤن لدى المحاصرين وكادت أن تنعدم، وماتت أعداد من العساكر، لأن كونت طولوز، قام قبل وصول الفرنسيين بحكم كونه عسكرياً بارعاً، بنقل جميع أنواع المؤن مع المسنين من الرجال والنساء، وكذلك الأطفال، والخيول والقطعان، ولذلك حرموا من جميع أنواع المواد الأساسية والمؤن، ولم يتألم الناس فقط ويعانون، بل أيضاً خيول ومواشي الجيش، حيث هلكت من المجاعة، فقد كان الكونت قد تدبر من قبل فلاحة جميع الحقول في أرجاء المنطقة، ولذلك لم تتوفر هناك أية مواد للأكل وعلف المواشي، غير ماكانوا قد جلبوه من المناطق الفرنسية، ولذلك أرغمت كتل كبيرة من العساكر على التخلي عن المعسكر، للبحث عن الأطعمة من أجل الناس والأعلاف من أجل الخيول، واستولوا بوساطة هذه الغارات على كثير من البلدات التي وقفت ضدهم، إنما غالبا ماعانوا من خسائر كبيرة من حملات كونت طولوز، ومن كمائنه التي نصبها،

وكان الفرنسيون في هذا الحصار عرضة للموت بطرق كثيرة، منها كان من الموتان الذي انتشر بشكل مرعب بين الرجال والخيول، ومن الأسلحة المميتة، والحجارة القاتلة التي جاءت من عند المحاصرين، ومن المجاعة الشاملة التي استشرت بشكل رئيسي بين الطبقات الأشد فقراً، الذين لم يمتلكوا لا المال ولا الطعام، وذلك بالاضافة إلى التعاسات الأخرى، التي هاجمت الجيش من دون توقف، فقد صدر عن جثث الموتى من الناس والخيول، الذين كانوا يموتون في كل اتجاه روائح نتنه، وكانت بالاضافة إلى ذلك هناك أعداد هائلة من الذباب الأسود الكبير، وكانت تدخل إلى داخل الخيم، والسرادقات، والمقتنيات وتؤثر على المؤن والأشربة، وبما أنهم كانوا غير قادرين على ابعادهم عن كؤوسهم وصحونهم، سببوا موتاً مفاجئا بينهم، وكان الملك والنائب البابوي في وضع حرج جدا، لأنه إذا ماعادت هذه الحملة الكبيرة والقوية دون أن تنجز أهدافها، فلسوف يعاني الفرنسيون والرومان من وصمة عار، وعندما رأى قادة الجيش، أن التأخير صار طويلاً، بسبب أعداد الموتى، التمسوا من هم أدنى منهم رتبة وكذلك من رؤسائهم مهاجمة المدينة، ولدى قيام تلك الحشود الهائلة من الجنود بالزحف ضد المدينة، جاء ذلك الزحف فوق جسر كان قد بني فوق نهر الرون، فتدمر الجسر، إما من قبل سكان المدينة، أو بسبب ثقل الجنود الذين كانوا يقاتلون هناك،وقد غرق ثلاثة آلاف رجل في مجرى النهر السريع، ووقتها تصاعدت أصوات سرور من سكان المدينة، لكن ذلك أزعج الفرنسيين، وسيطر الاضطراب والقلق على الجيش الفرنسي، وكان سكان المدينة يترقبون فرصتهم، ولذلك أقلعوا بغارة شعواء من المدينة، وبقوة كبيرة، وجاء ذلك في أحد الأيام عندما كان الفرنسيون قد جلسوا وراء المائدة يأكلون ويشربون، ثم إنهم عادوا إلى المدينة دون المعاناة من خسارة بينهم أنفسهم، وقام سكان المدينة هؤلاء بغارات متواصلة ضدهم، وكان الملك الفرنسي يائساً، وقد أمر برمي جثث القتلى في نهر

الرون، من أجل تجنب روائح النتانة، لأنه بسبب كثرة عدد جثث القتلى لم يتوفر لديهم مكان آخر للدفن، ثم إنهم عملوا خندقاً عميقاً بينهم وبين المدينة، وتمت متابعة أعمال الحصار من على مسافة كبيرة عن المدينة، ولم يتوفر لدى النائب البابوي وحشد الأساقفة في ذلك الحين، من وسائل العقوبة غير انزال عقوبة الحرمان الكنسي بكونت طولوز، وبسكان المدينة، وبجميع سكان المنطقة.

وفاة الملك الفرنسي لويس

وقام في هذه الآونة الملك الفرنسي لويس، من أجل النجاة من الطاعون الذي كان يحدث دماراً هائلاً في المعسكر، باللجوء إلى دير اسمه مونتبنسير Montpensier ، على مقربة من البلدة المحاصرة، لينتظر سقوط المدينة، ووصل إليه إلى ذلك المكان كونت شامبين، وكان قد أمضى أربعين يوماً في الحصار، ووفقاً للعادة الفرنسية، طلب الإذن بالسماح بالعودة إلى الوطن، لكن الملك رفض السماح له، فقال بأنه خدم الأربعين يوماً المتوجبين عليه، وهو ليس مفروضاً عليه البقاء أكثر، ثم إنه لن يبقى أية مدة أطول، وثار غضب الملك، وأعلن مقسما بأنه إذا ماغادر الكونت، سوف يعيث فساداً في أراضيه بالسيف والنار، وكان الكونت -حسبما ذكرت بعض التقارير -واقعاً بالحب مع الملكة، فتدبر دس بعض السم إلى الملك، وتعجل بذلك، لأن الرغبة بالعودة قد استبدت به، وماعاد بإمكانه الانتظار أية مدة أطول، وقد قيل أنه بعدما غادر الكونت، وقع الملك مريضاً جداً، وسرى السم في عروقه، وأوصله إلى حافة الموت، هذا ويؤكد بعضهم أنه لم يمت بالسم بل بالاسهال الشديد، وعندما مات الملك أخفى النائب الروماني للكرسي الرسولي، الذي كان حاضراً أثناء الحصار، وكذلك الأساقفة الذين كانوا مستشاريه السريين، وكانوا أيضاً هناك، خبر موت الملك حتى تستسلم المدينة، لأنه لو رفع الحصار آنذاك،

لألقيت ملامة عظيمة عليهم، وبناء عليه تظاهر النائب البابوي ورجال الدين الذين كانوا هناك أثناء الحصار، بأن الملك محبوس بسبب مرض شديد، وقالوا بأن الأطباء يرون أنه سوف يتعافى على الفور، وبناء عليه حثوا قادة مختلف الوحدات على مهاجمة المدينة بكل مالديهم من قوة، وقد حفظوا جسد الملك بوساطة كميات كبيرة من الملح، ودفنوا أحشاءه في الدير، وقاموا بتغليف جسده بالشمع وبالكتان وبجلود الثيران، وحفظوه بعد ذلك في مكان أمين في الدير، ثم عاد النائب البابوي ورجال الدين إلى الحصار، وعندما وجد النائب البابوي أنهم لم يتقدموا بل كانوا يواجهون الاخفاق بشكل دائم، بسبب مختلف ألوان سوء الحظ، قام هذا النائب، بناء على نصيحة شيوخ المعسكر، فأرسل رسالة إلى داخل المدينة، وطلب من أهل المدينة ارسال اثني عشر شيخاً منها إليه بعد تسلمهم ضمانة وأمانا، وأن ينفذوا ذلك بأسرع وقت ممكن من أجل الاتفاق على السلام.

كيف تم الاستيلاء على أفينون من قبل الفرنسيين خيانة

وبعدما جرى تقديم رهائن إلى أهل المدينة ضمانة لوفد يأتي من عندهم، خرج من المدينة اثنى عشر رجلاً من سكانها لعقد مؤتمر مع النائب البابوي، وبعد نقاش طويل حول السلام، نصح أهل المدينة باخلاص أن يقوموا بتسليم أنفسهم، وبذلك يصونوا أنفسهم، وممتلكاتهم ومقتنياتهم، وامتيازاتهم إلى أقصى حد تمتعوا به في حياتهم، وعلى هذا رد الرسل بأنهم سوف لن يسلموا أنفسهم بأي شكل من الأشكال ليعيشوا تحت حكم الفرنسيين، الذين عانوا من عجرفتهم ورعونتهم القاسية في غالب الأحيان، وبعد نقاش طويل على الجانبين،طلب النائب البابوي الاذن له بالدخول الى المدينة مع رجال الدين الذين كانوا حاضرين، حتى يتفحصوا إيمان السكان،وأقسم بأنه أطال الحصار فقط من أجل تأمين النجاة والخلاص لأنفسهم،وأضاف

أيضاً أن صرخة الكفر،التي نالت القوة في المدينة،قدوصلت الى البابا،ولذلك هو يرغب في معرفة فيما إذا كانوا يؤيدون هذه الصرخة بأعمالهم، ووثق السكان هنا بوعود المندوب البابوي ، ولم تتوفر لديهم شكوك بوجود خيانة، وبعد تأدية اليمين من على الجانبين حول الشرط المذكور أعلاه، أعطوا إلى المندوب البابوي وإلى رجال الدين الإذن بدخول المدينة من دون الآخرين، وبصحبتهم، لكن كما جرى الإعداد من قبل، قام الفرنسيون بشكل خياني، وخارقين بشكل معيب لليمين الذي أداه المندوب البابوي، فشقوا طريقهم بالقوة إلى داخل المدينة، وجعلوا من السكان أسرى، وبعدما حصلوا هكذا بشكل خياني على النصر، دمروا الأبراج والأسوار الموجودة في هذا المكان البهي، وقام النائب البابوي بعد ذلك بوضع المدينة تحت عهدة الفرنسيين، ورفع الحصار، وأمر بحمل جسد الملك إلى باريس، وأن يتولى ذلك الكهنة الذين كانوا محتشدين هناك، وذلك من أجل دفنه بين أجداده، حسبما كانت العادة مع الملوك، ولقد قالوا بأن الملك قد مات في شهر ايلول، وقد أخفوا نبأ موته لمدة شهر أو أكثر، وقد مات من بين الذين ذهبوا إلى الحصار مع الملك اثنين وعشرين ألفاً في ذلك المكان، بما في ذلك الذين قتلوا وغرقوا، وكذلك الذين ماتوا من الطواعين، أو ماتوا بشكل طبيعي، وبذلك توفر سبب عظيم للبكاء عليهم وللحزن من قبل أزواجهم وأولادهم، ومن هذا اتضح تماما بأن حرباً غير عادلة هي التي خيضت، كانت دوافعها الحسد والنهم أكثر من الرغبة في محق الهرطقة.

تتويج لويس ملكاً على فرنسا الذي هو ابن لويس الملك المتوفى

وبعد وفاة لويس الذي كان ملك فرنسا، دعت زوجته السيدة الملكة بلانشي رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورجال الدين الآخرين العائدين لمختلف الكنائس، وكذلك النبلاء الذين يدينون بالولاء للتاج، للاجتماع

في باريس في الثالث عشر من تشرين الثاني، من أجل تتويج لويس ابن الملك لويس المتوفى، وطلبت جماعة النبلاء الرئيسيون قبل اليوم المحدد -تماشياً مع العادة الفرنسية -اطلاق سراح جميع السجناء، وبشكل خاص فيراند كونت فلاندرز، ورينالد كونت أوف بولون، الذي أبقي في السجن -على الرغم من امتيازات المملكة -حتى الآن اثني عشر عاماً، وطالب بعضهم -على كل حال -بإعادة أراضيهم إليهم، التي احتفظ بها لويس والد فيليب وجدّ الملك الشاب، لمدة طويلة، وأبقاها بحوزته بشكل غير عادل، وأضافوا أيضاً أنه لايجوز حرمان أي واحد في المملكة الفرنسية من حقوقه، مالم يكن ذلك بقرار صادر عن اثني عشر من نظرائه، وينبغي أن لايعمل أحد حرباً من دون اشعار مسبق قبل سنة، وأعلنوا أنه فور تنفيذ هذه الاصلاحات، فإنهم سوف يقدمون من دون تأخير إلى التتويج، وخشيت الملكة أن التأخير قد يسبب خطراً، ولذلك قامت بناء على نصيحة النائب البابوي، باستدعاء رجال دين المملكة، مع قليل من النبلاء أمكنها جمعهم، وفي يوم عيد القديس أندرو الرسول، تدبرت أمر تتويج ابنها ملكاً، مع أنه كان طفلاً لم يبلغ العاشرة من عمره، وغيب دوق بيرغندي نفسه، ولم يحضر التتويج، ومثل ذلك فعل كونت شامبين، وكونت دي بار، وكونت سينت بولص، وكونت دي بريتاني، وتقريباً جميع النبلاء المتوجب عليهم طاعة التاج، واستعدوا للقتال أكثر من استعدادهم للسلام والتابعية الحسنة.

ولدى سماع الملك الانكليزي بهذه الخلافات بين النبلاء المتقدم ذكرهم، بعث وولتر رئيس أساقفة يورك والفارس فيليب دي ألبيني إلى مقاطعات ماوراء البحر، مع رسل آخرين خاصين، إلى نبلاء نورماندي، وأنجو، وبريتاني، وبواتو، الذين كانوا مرتبطين بولاء التابعية له، وطلب القبول بينهم، وقدم إليهم بالوقت نفسه وعوداً كبيرةً، إذا ما استقبلوه باخلاص جيد.

موت فالكاسيوس ونبوءة منذرة بتلك الحادثة

وأنهى في هذا العام نفسه فالكاسيوس حياته الشريرة في سينت سير Cyr ، وجاء ذلك بعد نفيه من انكلترا، وأثناء عودته إلى هناك بعدما رتب الأمور في بلاط روما، وكان هذا اللص الظالم فالكاسيوس، قد قام أثناء حياته، بنهب بلدة سينت ألبان بشكل وحشي، وقتل بعض السكان، وسجن البقية، واستخرج مبلغا كبيراً من المال من راعي الدير، وكذلك من البلدة، وذلك من أجل ابقاء الدير، والبيعة، والبلدة، والحيلولة دون إحراقهم من قبله، وكان قد حدث بعد هذا أن ذهب إلى سينت ألبان ثانية ليلتقي مع باندولف أسقف نورويك، وسأله هذا الأسقف لدى رؤيته له، على مسمع من راعي الدير نفسه وعدد كبير آخر، عما إذا كان قد أساء إلى القديس ألبان بأية طريقة من الطرق، فأجابه فالكاسيوس بأنه لم يقترف شيئاً من هذا القبيل، وهنا أضاف الأسقف قائلاً: «لقد سألتك هذا السؤال، بسبب أنني رأيت في إحدى الليالي الأخيرة، عندما كنت نائماً على حشيتي، في المنام في كنيسة القديس ألبان، نفسي واقفاً أمام المذبح الكبير، ولدى التفاتي بعدما قدمت صلاتي، رأيتك واقفاً في سدة الرهبان، ولدى نظري نحو الأعلى، رأيت حجرة كبيرة وثقيلة تسقط من البرج على رأسك بقوة شديدة، وبذلك سحق جسدك كله ورأسك، واختفيت فجأة، وكأنك قد غرقت في الأرض، ولهذا إني أنصحك، إذا ماكنت قد قدمت أدنى اساءة إلى الشهيد، أن تقوم بتكفير صحيح له ولأتباعه، قبل أن تسقط الحجر على رأسك»، ولكن حدث أن هذا التعيس عندما طلب فيما بعد المسامحة من راعي الدير ومن الرهبان بسبب آثامه، أعلن بوضوح، بأنه سوف لن يعيد أياً من المقتنيات التي استولى عليها، وعلى هذا بات واضحاً أن التوبة التي عملها كانت من دون تأثير لأن: «الذنب لايجري العفو عنه وغفرانه مالم تتم إعادة الممتلكات المسروقة»، كما أنه شعر بسقوط الحجر

على رأسه، عندما حدث بعد ذلك بوقت قصير في بدفورد حيث جرى شنق أخيه مع رفاقه، وهو نفسه أرسل إلى المنفى رجلاً فقيراً، وقد أنهى الآن حياته بميتة تعيسة.

ومات في العام نفسه الأسقف بندكت أسقف روكستر، وباندولف أسقف نورويك، وخلف باندولف توماس دي بلندفيل Blundeville، وكان محاسباً لخزينة الملك، وقد جرى تكريسه من قبل ستيفن رئيس أساقفة كانتربري، وكان ذلك يوم الأحد التالي قبل عيد الميلاد.

استخراج الملك الانكليزي للمال

عام ١٢٢٧م، فيه احتفل الملك هنري بعيد الميلاد في ردنغ، وفي اسبوع الميلاد نفسه مات وليم ايرل اسكس مما سبب الحزن للكثيرين، لأنه كان شاباً، وكان محبوباً وكريماً، ثم ذهب الملك إلى لندن، واتهم سكان المدينة، أنهم سببوا له الخسارة، عندما دفعوا خمسة آلاف مارك من الفضة، إلى لويس، الملك الفرنسي الذي توفي مؤخراً، وكان ذلك أثناء مغادرته لانكلترا، ولذلك قام الملك بناء على نصيحة مستشاريه مسببي الاضطرابات، بإرغام سكان المدينة على دفع مبلغ مماثل له، وعلاوة على ذلك أخذ منهم الجزء من الخمسة عشر جزءاً من ممتلكاتهم المتحركة، وكذلك من جميع مقتنياتهم الأساسية، وكان هذا الشيء نفسه قد منح إليه من قبل في جميع أرجاء انكلترا، ولقد أخذ أيضاً من سكان بيتربورا Peter borough ونورثأمبريان Northumbrians ألفاً ومائتي باوند، وذلك بالاضافة إلى الجزء من الخمسة عشر جزئا، الذي دفعه الجميع في جميع أنحاء المملكة بشكل عام، ولقد جرى إرغام حتى رجال الدين والكهنة ذوي الموارد على دفع الجزء من الخمسة عشر جزئاً من جميع مقتنياتهم، وكذلك من الممتلكات اللاهوتية والعلمانية، وجاء تقديم

التماس إلى البابا بلا فائدة، لأن نظم الأشياء والأمور، قد جرى تغييرها، وكذلك لحق التغيير رؤساء الأساقفة والأساقفة بموجب سلطات البابا، وتقريع الكنيسة، فقد أرغم هؤلاء على أن يدفعوا ما لاترغمهم السلطة العلمانية عليه، وهكذا حرموا من كل سبل التفريج.

كيف ألغى الملك صكوك الامتيازات في مجمع عقد في اكسفورد

وعقد الملك في شهر شباط من العام نفسه مجمعاً في اكسفورد، وقام أمام جميع الحضور باعلان نفسه بأنه قد وصل إلى السن القانوني، حتى يتحرر من الوصاية، ولكي يتسلم ممارسة شؤون المملكة والقيام بواجباتها، وهكذا تولى الملك الذي كان من قبل تلميذاً لوليم مارشال وتحت وصايته أثناء حياته، ثم بعد موته تحت وصاية بطرس أسقف وينكستر، تحرير نفسه تحريراً تاماً، بناء على نصيحة هيوبرت دي بورغ، المسؤول عن العدالة في انكلترا، من جميع آراء وقيود الأسقف المذكور ورفاقه الذين كانوا من قبل أساتذته، وصرفهم جميعاً من بلاطه، وقطع علاقاتهم كلها به، وقام الملك المذكور في المجمع نفسه أيضاً بإزالة جميع صكوك امتيازات الغابات في جميع كونتيات انكلترا، وذلك بعدما كانوا موضع التطبيق في جميع أنحاء انكلترا لمدة عامين، وأعطى سبباً علل فيه ذلك بأن تلك الصكوك قد منحت، وجرت كتابة الامتيازات، والتوقيع عليها، عندما كان تحت الوصاية، وليس لديه سلطة في ذاته أو في ختمه، وبما أنها اغتصاب غير معقول، لم يعد من المعقول استمرارها لعدم فائدتها، وبناء على هذا ثار عدد كبير بين الذين كانوا في المؤتمر، وقرروا جميعاً بأن هذا الظلم كان مقترفه المسؤول عن العدالة، وأنه هو صانع هذا الاضطراب، لأنه صار بعد ذلك مقرباً كثيراً من الملك، حتى بات جميع مستشاري المملكة وكأنهم بلاقيمة، ثم صدرت الأوامر إلى رجال الدين وإلى الآخرين، الذين كان بودهم التمتع بامتيازاتهم، أن يقوموا بتجديد صكوكهم تحت الختم الجديد للملك، لأنهم علموا بأنه بات

يرى بأن الصكوك القديمة باتت غير فاعلة، ولهذا جرى فرض ضرائب جديدة ليس وفقا لامكانات كل واحد منهم، بل إنهم أرغموا على دفع كل الذي قرره المسؤول عن العدالة وفرضه.

كيف عاد رسل الملك الذين بعثهم إلى فرنسا من دون تحقيق غرضهم

ومات في العام نفسه البابا هونوريوس في الثامن عشر من آذار، وقد خلفه غريغوري أسقف أوستيا، وفي العام نفسه، في حوالي عيد الفصح، عاد رئيس أساقفة يورك، وأسقف كارآيل، وفيليب دي ألبيني، وهم رسل الملك، من القارة، وكانوا قد أرسلوا إلى نبلاء تلك المناطق، التي كانت بموجب الحقوق القديمة تدين بالطاعة إلى ملك انكلترا، وكانوا قد أمروا من قبل الملك بمحاولة إقناعهم بحديث لطيف، وبوعود كبيرة لاستقبال الملك المذكور، وللاعتراف به بمثابة سيدهم الطبيعي، ولكن حتى لانطيل الحديث من دون فائدة، كان الملك الفرنسي، قد عمل سلاماً مع البارونات وتلقى الولاء منهم، وجاء ذلك بناء على تدخل أمه، وبعدما وزع بينهم بكرم زائد الأراضي والقلاع من الممتلكات الملكية، وهكذا اتخذ أصدقاء من «خلال الجشع غير العادل»، وكان هذا كله قد حدث، قبل وصول رسل الملك إلى تلك المناطق، وطلب الرسل المتقدم ذكرهم من كونت بريتاني إعطاء ابنته لتكون زوجة للملك الانكليزي، فرد بأنه قد عمل معاهدة سلام مع ملك فرنسا، وهو لن يقوم بخرقها بأي حال من الأحوال، ولذلك عاد الرسل، وأخبروا الملك بالذي عملوه، وفي شهر أيار من العام نفسه، وصل رتشارد أخو الملك إلى انكلترا، واستقبل بكثير من السرور من قبل الملك والنبلاء، وفي حوالي الوقت نفسه تلقى هنري دي سانفورت Sanfort، رئيس شمامسة شيستر، الذي جرى انتخابه بشكل قانوني أسقفاً لوركستر، السيامة والتكريس على يدي ستيفن رئيس أساقفة كانتربري، وفي

الخامس من شباط من العام نفسه، جرى تقديم هيوبرت المسؤول عن العدالة في انكلترا مع سيف كونتيه كنت، من قبل الملك.

كيف ثار البارونات ضد الملك

في التاسع من تموز من العام نفسه، نشب خلاف بين ملك انكلترا وبين أخيه رتشارد إيرل أوف كورنوول، وكان سببه هو كمايلي: كان الملك جون، والد الملك الحالي، قد منح أثناء حياته إلى فاليران، وهو ألماني، كان آنذاك قسطلان بيركها مستد، إحدى العزب العائدة إلى ايرلية كورنوول، ولدى سماع الايرل رتشارد الذي كان قد وصل منذ أمد وجيز من القارة، بأن العزبة عائدة إلى ايرليته، أمر بالاستيلاء على البلدة لصالحة، حتى يتمكن من معرفة ما التي كانته حقوق فاليران فيها، وعندما سمع فاليران بهذا قدم مسرعاً كل السرعة إلى الملك، وقدم شكوى ضد أخيه رتشارد، وبناء عليه أرسل الملك رسائل إلى أخيه أن يقوم فور تسلمهم بإعادة العزبة إلى فاليران، وعندما قرأ رتشارد الرسائل بادر مسرعاً إلى الملك، وترافع من دون وجود محامي، بشكل بارع ومنطقي بأن العزبة عائدة له وحق له، ولذلك هو على استعداد للالتزام بقرار محكمة بلاط الملك وقرار نبلاء المملكة، ولقد غضب الملك غضباً كبيراً وشاركه في ذلك المسؤول عن العدالة، لدى سماعهما ذكره للنبلاء، وأمر الملك أخاه بلهجة ملكية قاسية وبطيش، أن يقوم على الفور بتسليم العزبة إلى فاليران، أو أن يغادر المملكة وأن لايعود مطلقاً، وعلى هذا رد الايرل قائلاً بأنه لن يتخلى عن حقه إلى فاليران، كما أنه لن يغادر المملكة، من دون قرار صادر عن نظرائه، وما أن فرغ من كلامه هذا حتى غادر وقصد بيته، وخشي المسؤول عن العدالة أن يعكر الايرل السلام في المملكة، فنصح الملك -كما قيل - أن يرسل بعض الفرسان لاعتقال أخيه أثناء نومه في الليلة التالية، وأن يودعه في سجن مضيق عليه، وبذلك يمكن للملك أن يتمتع بسلام دائم، وجرى

-على كل حال - إنذار رتشارد مسبقاً من قبل صديق له، فبادر مسرعاً مع فارس واحد برفقته، ولم يتوقف ويرخي عنان حصانه حتى وصل إلى ردنغ، ولحقت به عساكره في الصباح، وقد وجدوا مولاهم سالماً ومعافى في مكان كان متفقا عليه معهم، ثم أخذ الايرل طريقه نحو مارلبورا، والتقى في ذلك المكان بوليم مارشال، الذي كان صديقه، وحليفه المتعاهد معه، وقد أخبره بكل الذي حدث معه، وعندها ذهب الاثنان إلى ايرل شيستر، وحدثاه تماما عما حدث من وقائع، ثم أقسموا أن يكونوا أوفياء أحدهم نحو الآخر، وأرسلوا رسائل إلى الخارج فحشدوا جيشاً كبيراً، وخلال وقت قصير اجتمع في ستامفورد الايرلات مجهزين بالخيول، ومزودين بالسلاح، وهم: رالف أوف شيستر، ووليم مارشال، ورتشارد أخو الملك، وغيلبرت أوف غلوستر، ووليم أوف وارين Warrenne وهنري أوف هيرفورد، ووليم ايرل فيرير Ferrers، ووليم أوف ووريك Warwick وذلك إلى جانب عدد كبير من البارونات، وكتلة كبيرة من الجنود، ثم إنهم وجهوا إنذاراً شديداً إلى الملك، بوجوب أن يقوم على الفور باصلاح الخطأ الذي اقترفه بحق أخيه، لكنهم لم يضعوا الملامة حول هذا على الملك، بل على المسؤول عن العدالة، وعلاوة على ذلك طالبوا بجرأة أن يقوم الملك من دون تأخير، فيعيد إليهم تحت ختمه صكوك الامتيازات المتعلقة بالغابات التي قام مؤخراً بالغائها في اكسفورد، وإلاّ فإنهم سوف يرغمونه بقوة السلاح على إعطائهم ترضية كافية حول هذه القضايا،ولدى تسلم الملك لهذه الرسالة، أمرهم بالالتقاء به في نورثأمبتون في الثالث من آب، حتى يتمكن وقتها من منحهم عدالة مناسبة، وبناء عليه اجتمع الفرقاء في المدينة المذكورة أعلاه في الموعد المحدد، وقام الملك، بناء على طلب مستعجل من النبلاء، بأعطاء أخيه، الايرل رتشارد بائنة أمه كلها، مضافاً إليها جميع الأراضي العائدة إلى ملكية كونت بريتاني في انكلترا، وجميع ممتلكات كونت بولون الذي

توفي مؤخراً، وبعد هذا عاد الجميع بسلام إلى مواطنهم.

وفي العام نفسه، كان هناك ناسك يسكن في الألب وراء البحر، يقوم كما هي عادته فيقرأ في مزاميره، ولدى وصوله إلى المزمور الذي بدايته «ليقم الرب»، وجد ذلك المزمور محذوفاً، ووجد مكانه قد كتبت هذه الكلمات: «روماني سوف يثور ضد روماني، وروماني سوف يوضع مكان روماني، وعصي الرعاة سوف تضيء، ولسوف يكون هناك هدوء في راحة، ولسوف يتعكر صفو الساهر، وسوف يصلي، وسوف يكون في دموع الحشد راحة، وسوف يلعب القانوني مع المجنون، ولسوف تبرد الحمى المطفأة، وسوف يزحف قطيع جديد إلى القبر، والذين يتولون التنظيف بالأحراش سوف يتغذون بغذاء خفيف، وسوف تعاق ثقة المواسين وراحتهم في التأمين الذي عليه يعتمدون، والذين يسيرون في الظلام سوف يعودون إلى الضوء، والأشياء التي كانت مختلفة سوف تلقى المواساة بأشياء مختلفة، وما من سحابة صغيرة سوف تبدأ بالامطار، لأن مغير العمر قد ولد، وسوف تثور الحظوة ضد البساطة، والبساطة سوف تنفث وهناً، وسوف يتحول الشرف إلى لاشرف، وسرور الكثيرين إلى حزن»، ولسوف يظهر تأويل هذه النبوءة في الأحداث التالية واضحاً أكثر من الضوء، إذا ما جرى البحث فيها بدقة.

كيف جرت إثارة كبيرة في هذه الآونة للمساعدة في الصليبية

جرت في العام نفسه، في نهاية حزيران إثارة حركة كبيرة لمساعدة الصليب من قبل جميع الصليبيين في جميع أرجاء العالم، وكانت أعدادهم كبيرة جداً، حتى قيل بأن أربعين ألفاً من الرجال المجربين من انكلترا وحدها قد زحفوا وإلى جانبهم النساء والشيوخ، وقد أعلن عن هذا المعلم هيوبرت، الذين كان واحداً من المبشرين في انكلترا، وقد أكد أنه في الحقيقة قد دوّن في سجله قدر هذا العدد، وجميع هؤلاء، ولاسيما

الفقـراء الذين عليهم تنزل البهجـة اللاهوتيـه، قـد دخلوا للقيـام بهذه الصليبية بتقوى عـالية وايمان عظيم حتى أنهم قد حصلوا من دون شك على الحظوة والرضـا عند الرب القدير، كما ظهـر ذلك واضحاً في كثير من الاشـارات، ففي ليلة ميـلاد القديس يوحنـا المعمدان، أظهـر الرب نفسه في السماء، مثلما عندمـا صلب، فقد ظهـر صليب مشع كثيراً وعليه جسـد الرب مخروق بالمسامير، ومطعـون بالحربة، وملطخ بالدم، وهكذا أظهر مخلص العـالم بهذا إلى أتباعـه المخلصين في الدنيا، بأنه كـان راضياً بوساطة إيمان شعبـه، ورأى هذا المشهد عـدد كبير من الناس، وكان من بينهم تاجر، كـان يحمل سمكاً للبيع قرب أوكسبردج Uxbridge، فقد أصيب بالدهشة تجاه ذلك المشهـد الغريب، وخاف من لمعـانه، وقد قيل بأنه غـرق في الوجد، ووقف في حـالة دهشة، غير عـارف مالذي عليـه فعله، وكان ابنه رفيقه الوحيد قـد طمأن والده، وسأله أن يوقف عربته، ويقـدم الشكر للرب الذي تلطف بـأن أراهما مثل هذه الرؤيا، وقـام في اليوم التالي - لا بالواقع في كل يوم فيما بعـد عند عرض أسماكه للبيع - بإخبـار كل واحـد بشكل علنـي عن الرؤيا السماوية التـي شـاهدها، وأضاف ابنه شـاهداً عليه وصـدق كثيرون هذه الحكاية، لكن بعضهم لم يصدقـوها حتى اقتنعوا بتصديقها، بوسـاطة الرؤى الكثيرة التي ظهرت في الوقت نفسـه لكثير من النـاس في أمـاكن مختلفـة، ففي هذه الحالات طلب المصلوب بفتح السماء ليري المتشككين مجده الرائـع، ببهـاء عظيم، وكان بين الذين ذهبوا من انكلترا للالتحاق بالحملة الصليبية الأسقفان: بطرس أوف وينكستر، ووليم أوف ايكستر، اللذان وفيـا بعهدهما بالحج منذ قرابة خمسة أعوام.

تطور أحوال الحملة الصليبية في هذه الآونة

سـوف تظهـر تطور شـؤون الصليب في هذه الحملة الصليبيـة بشكل واضح في الرسالة التـالية التي بعث بها البابا غريغـوري إلى جميع الأتباع

المؤمنين للمسيح: «من غريغوري الأسقف، عبد عبيد الرب، إلى جميع المؤمنين المسيحيين، التحيات، الخ، ليكن معلوماً لدى جماعتكم كلها بأننا قد تسلمنا رسائل من بلاد ماوراء البحر محتواها هو كمايلي: من جيرالد الذي هو برحمة الرب بطريرك القدس، ومن ب .P رئيس أساقفة قيسارية،، الذي هو النائب الحقير والمتواضع للكرسي الرسولي، ومن ن.N رئيس أساقفة نربونة، ومن ب. P أسقف أوف وينكستر، ومن و. Wأسقف أوف ايكستر، ومن مقدمي الاسبتارية، ومقدمي فرسان الداوية، ومن طائفة اسبتارية التيوتون، إلى جميع من سوف تصلهم هذه الرسائل، تمنيات الصحة في مولانا يسوع المسيح، نحن مرغمون على اخبار جماعتكم كلها عن حاجاتنا الأكثر إلحاحا وعجلة، وعن تقدمنا في العمل في سبيل قضية مولانا يسوع المسيح، الذي سفك دمه من أجل جميع المؤمنين الصادقين، وإنه مع كثير من القلق والانزعاج في العقل، ومع سفح للكثير من الدموع، تعلمون أن صاحب المقام السامي، الامبراطور لم يقدم إلى سورية، كما كنا جميعاً نأمل بوصوله في شهر آب المنصرم، كما كان قد وعد، ونتيجة لهذا فإن الحجاج من تلك المناطق، عندما سمعوا بأن الامبراطور لم يصل في العبور المتقدم، وكان تعدادهم أكثر من أربعين ألفاً من الرجال الأشداء، عادوا في السفن نفسها، كما جاءوا، واضعين ثقتهم في انسان بدلاً من وضعها في الرب، وبعد مغادرتهم، قد بقي هنا قرابة الثمانمائة فارس، هم الذين مابرحوا يصرخون بصوت واحد: «دعونا إما أن نخرق الهدنة، أو اتركونا نغادر مع بعضنا»، وهم قد أبقيوا هنا ليس من دون صعوبات كبيرة، لأن دوق أوف ليمبورغ Limburg، وهو رجل من أصل نبيل، قد جرى تعيينه قائداً للجيش، في مكان الامبراطور، وجرى لهذا عقد مؤتمر ضم بشكل خاص: الاسبتارية، والداوية، والاسبتارية الألمان، وفيه تم الاتفاق على أن يقوم الدوق المتقدم الذكر بالعمل حسبما يكون الأفضل لصالح المسألة الصليبية والأرض المقدسة، ثم إن الدوق سأل،

وتلقى النصيحة حول النقاط التالية، وظهر في اليوم المحدد بشكل خاص من أجل القضية المعروضة، أمامنا وأمام نبلاء تلك البلاد، وهناك أعلن بشكل واضح بأنه يرغب في خرق الهدنة، وسأل المساعدة والنصيحة من الحضور حول كيف يمكنه السير بشكل هو الأكثر منفعة في سبيل تنفيذ تلك النية، وعندما جرى إخبار الدوق ومستشاريه أنه سوف يكون من الخطورة بمكان خرق الهدنة، ولأنها مؤكدة بالأيمان، سوف يكون ذلك غير مشرف أيضاً، أجابوا بأن صاحب القداسة البابا قد حرم كنسيا جميع الصليبيين الذين لن يلتحقوا بهذه الحملة الصليبية، مع أنه يعلم بأن الهدنة ينبغي أن تستمر لمدة عامين أكثر، وبهذا فهموا بأنه لم يرغب بالحفاظ على هذه الهدنة، وبالاضافة إلى هذا لن يبقي الحجاج هنا من دون عمل، وكان هناك أيضاً كثير من الناس قد قالوا بأنه ما أن يغادر الحجاج، حتى سيقوم المسلمون بعد مغادرتهم بمهاجمتهم، دون إقامة تقدير للهدنة، وقال بعضهم بأن الملك الأشرف مشغول بحرب شديدة مع حكام حماه، وحمص، وحلب، ولهذا السبب كان خائفاً أكثر مما هو معتاد من قيام الصليبيين بخرق الهدنة، وإذا ماجرى خرق الهدنة، اعتقدوا بأن الملك الأشرف، عندما سيجد نفسه معرضاً للضغط عليه بالحرب من جميع الجهات، ربما سيقدم شروطاً للسلام، وأخيراً، وبعد مناقشات طويلة حول هذه القضايا، وافقوا كلهم بالاجماع على الزحف إلى المدينة المقدسة، التي كرسها يسوع المسيح بدمه شخصيا، ولكي يكون الوصول إليها سهلاً، تقرر بالاجماع القيام بالمقام الأول بتحصين قيسارية أولاً ثم يافا، الأمر الذي أملوا أن يكونوا قادرين على انجازه قبل العبور الذي سيكون في آب المقبل، وعندها سوف يكونون في الشتاء المقبل قادرين بسرور على الانطلاق نحو بيت الرب، تحت حمايته، وجرى الاعلان عن هذا القرار خارج مدينة عكا، في يوم عيد الرسولين سمعان وجود،وجاء ذلك بحضور جميع الحجاج، وهناك أمروا بشكل صارم ووقور أن يكونوا جاهزين في

اليوم التالي ليوم عيد جميع القديسين، للانطلاق نحو قيسارية، وبالنسبة للحجاج الذين لم يعرفوا الخطة التي قررها الجيش، لدى سماعهم بهذا، بعد تحصين القلعتين المتقدم ذكرهما، تملكتهم فجأة رغبة عظيمة بالزحف نحو القدس، حتى أنهم بكوا بكاء كثيراً، وشعروا بأنهم تمتنوا كثيراً بفضل نعمة الروح القدس، حتى أن كل واحد منهم شعر بأنه قادر على غلبة ألف من الأعداء، وأن اثنين يمكنهما قهر عشرة آلاف، ولذلك نحن لسنا بحاجة إلى استخدام كثير من المثيرات لحثكم وتحريضكم، لأن هذه الضرورات الملحة تتحدث عن نفسها، وتطالب بمساعدة فورية، لأن التأخير يجلب الخطر، والسرعة سوف تكون منتجة لأعظم المنافع، ويدعو دم المسيح من هذه البلاد كل واحد منكم، وهذا الجيش الصغير والمتواضع، لكن التقي، يلتمس منكم مساعدة سريعة، وهو يضع أمله وثقته بالرب، بأن هذا العمل الذي بدأ بكل تواضع، يمكن أن ينتهي بفضله نهاية سعيدة، وبناء عليه حثوا أنفسكم جميعا، وليقم كل واحد منكم ببذل غاية جهده لمساعدة الأرض المقدسة، لأن هذا يمكن عدّه القضية العامة لكم كمؤمنين ولجميع الشعب المسيحي، ونحن تحت عناية الرب وتوجيهه لن نتوقف عن رفع شأن هذه القضية، آملين بثقة بأنها سوف تتقدم على أيدي المؤمنين المحفوظين بثقة. صدر في اللاتيران في الثالث والعشرين من كانون الأول من السنة الأولى لبابويتنا».

كيف أعيقت الحملة الصليبية من خلال غياب الامبراطور

وفي الوقت نفسه عزم الامبراطور فردريك، الذي كان مع صليبيين آخرين تحت عقوبة الحرمان الكنسي من قبل البابا منذ العبور المتقدم الذكر، على الوفاء بعهده والقيام بالحج، ولذلك ذهب نحو البحر المتوسط، وأقلع مع حاشية صغيرة، وبعد التظاهر بالتوجه نحو الأرض المقدسة لمدة ثلاثة أيام، قال بأنه أصيب بمرض مفاجيء، ولذلك لم يعد بامكانه المخاطرة بحياته، ولا أن يتحمل قساوة البحر، والمناخ غير

الصحي، ولذلك غير اتجاهه،، وبعد ابحار ثلاثة أيام، عاد وتوقف عند الميناء الذي أقلع منه، وعلى هذا فإن الحجاج من مختلف أجزاء العالم، الذين كانوا قد ذهبوا إلى الأرض المقدسة، على أمل اتخاذه قائداً وحامياً في القتال ضد أعداء الصليب، قد أصيبوا بالرعب والاحباط لدى سماعهم بأن الامبراطور ليس قادماً في عبور آب كما كان قد وعد، ولذلك ركبوا السفن التي جاءوا بها إلى الأرض المقدسة، وعادوا إلى الوطن، وكان تعدادهم حوالي الأربعين ألف رجل مسلح، وأدى هذا التصرف من قبل الامبراطور إلى الاساءة إلى سمعته كثيراً، وإلى الإضرار بجميع شؤون الحملة الصليبية، وإنه بسبب هذا الذي حدث -برأي كثيرين -أظهر مخلص العالم نفسه، كما تحدثنا أعلاه، فقد أظهر نفسه إلى المسيحيين، وهو معلق على الصليب، مخروق بالمسامير، وملطخ بالدم، وكأنه كان متقدما بالشكوى إلى كل مسيحي، حول الأذى الذي لحق به من الامبراطور.

موت الراهب الذي أسس طائفة الفرنسيسكان

وفارق الحياة في روما في هذه الآونة، راهب من طائفة رهبان الفرنسيسكان، اسمه فرنسيس، وقد قيل بأنه كان هو المؤسس لتلك الطائفة ومقدمها، وكان فرنسيس المذكور متميزاً بأصالة مولده ونبله، وقد شرع منذ أيام طفولته يفكر مليا حول الأشياء الجاذبة في هذه الحياة، وحول عدم استقرار الأشياء الدنيوية، وقدر بشكل دائم كم هي فارغة الأشياء الدنيوية كلها وزائلة، لأنه تعلم من الكتب ومن الدراسات اللاهوتية، التي تابعها وتولاها منذ صغره، حتى حصل على معلومات كاملة منها، والذي تعلمه هو ازدراء كنز كل ما هو زائل من أشياء، وأن يسعى لاهثاً وراء ملكوت السماء، ولكي يتماشى مع ماقرره في عقله تماما، تخلى عن الميراث الواسع الذي وصله من أبويه، وعن جميع مباهج الحياة، ولبس قلنسوة راهب وثوباً من المسوح، وألقى نعليه

جانباً، وأمات جسده بالسهر والصوم، واختار الفقر التطوعي، وقرر أن لايمتلك شيئاً لنفسه، ولكي يبقي جسده تناول ماتلقاه من الآخرين عن طريق الصدقة، وكان بعد المشاركة في وجبة خفيفة، إذا مابقي شيء، لم يكن يحتفظ بشيء من أجل الغد، بل كان يعطي ذلك إلى الفقراء، وكان ينام بثيابه في الليل، وكانت لديه حصير لينام عليها، وحجرة اتخذها وساده، واستخدم غطاء أثناء الليل القلنسوة والرداء الذي كان يسير به أثناء النهار، ووفق هذه الحالة كان يسير حافياً، تماشياً مع الانجيل، وباعتناقه حياة رسول ، قام بواجبات الوعظ في أيام الآحاد وفي أيام الأعياد في الكنائس الأبرشية، وفي التجمعات الأخرى للمسيحيين، وكان كلما ازداد بالامتناع عن ارضاء رغبات الجسد، وعن الحياة الطيبة، كلما ازداد تأثيره على عقول المستمعين إليه، ولكي يضع مقاصده كلها موضع التنفيذ، قام رجل الرب فرانسيس هذا، فأودع كتابة جميع المبادىء التي تقدم ذكرها أعلاه، مع بعض من الآخرين، وقد جرت مراعاتها بدقة متناهية من قبل رهبان تلك الطائفة حتى الوقت الحالي، وقد قدمهم إلى البابا انوسنت، عندما كان جالساً في محكمة بلاط روما، وسأل في الوقت نفسه تثبيت التماسه من قبل الكرسي الرسولي.

كيف ثبت البابا الطائفة المتقدم ذكرها بامتياز

وحدق البابا وثبت نظره على سحنة الراهب المذكور الشاحب، وعلى مظهره الحزين، وعلى لحيته الطويلة وعلى شعره غير المقصوص، والقذر، والمتدلي فوق جبينه، وبعدما سمع قراءة التماسه الذي كان صعباً، ولايمكن تطبيقه، ازدراه وقال له:

«إمض أيها الراهب، اذهب إلى الخنازير، الذين أنت أكثر مواءمة للمقارنة بهم من الناس، وأن تدرج بينهم، وأن تبشر بينهم بالأحكام التي استطعت أن تعرضها»، ولدى سماع فرانسيس هذا، طأطأ رأسه، ومضى، ولدى رؤيته لبعض الخنازير اندرج بينهم بالوحل حتى غطى

جسده وثيابه بالأوساخ من رأسه إلى قدميه، ثم عاد إلى محكمة البلاط، وعرض نفسه أمام البابا، وقال:

«لقد فعلت يامولاي الذي أمرتني به، أرجوك امنحني الذي التمسته منك»، واعترت البابا الدهشة لدى رؤيته للذي فعله، وشعر بالأسف لأنه عامله بازدراء، فأصدر بالوقت نفسه أوامره بوجوب غسل نفسه، والعودة إليه ثانية، وبناء عليه نظف نفسه من أوساخه وعاد مباشرة إلى البابا، وانفعل البابا كثيراً، وعندما وافق على التماسه، وبعدما ثبت تعيينه للتبشير وثبت أيضاً الطائفة التي طالب بتأسيسها، بامتياز من كنيسة روما، صرفه مع المباركة، وبنى عبد الرب فرانسيس هذا مصلى في مدينة روما، حيث يمكنه أن يجني ثمار تأملاته، ومثله مثل مقاتل نبيل، انشغل في المعركة ضد الأرواح الشريرة، وضد الآثام الجنسية.

وعظ الراهب المتقدم ذكره وموته الرائع

ثم إن فرانسيس أدى واجباته بتقوى، وذلك بالوعظ في جميع أرجاء ايطاليا، وممالك أخرى، وخاصة في مدينة روما، لكن الشعب الروماني، أعداء كل عمل صالح ومستقيم، استخفوا كثيرا ومقتوا وعظ رجل الرب هذا، الى حد أنهم كانوا لايرغبون بالاستماع إليه، ولايحضرون أعمال نصحه المقدسة، وبعد لأي، عندما تابعوا لوقت طويل الاستخفاف بوعظه، وجّه اللوم إليهم بشدة، وانتقد قسوة قلوبهم حيث قال:

«إنني حزين جداً من تعاستكم، ليس لأنكم فقط رفضتموني كعبد للمسيح، بل لأنكم ازدريتموه في شخصي، لأنني بشرت بينكم ووعظتكم بانجيل مخلص العالم، ولذلك إنني أدعوه ليكون شاهداً على هجرانكم، فهو شاهدي الأمين في السماء، وأنا ذاهب تارك مدينتكم ليكون ذلك عاراً عليكم، وسوف أذهب لأبشر بانجيل المسيح بين

الحيـوانات المفترسة، ولطيـور الهواء، حتى يستمعوا إلى الكلمات المانحـة للحياة، وهي كلمات الرب، وليكونوا مطيعين لهم»، ثم إنه غادر المدينة، ووجد في الضـواحي غربان بين جثث أمـوات، وطيور الحدأة، والعقعق مع طيور أخرى كلها كانت تطير في الهواء، وقال لهم:

«إنني آمركم بـاسم يسوع المسيح، الذي صلبه اليهـود، والذي رفض الرومان الاصغـاء إلى وعظه، أن تقدمـوا إليّ، وسماع كلمة الرب،وذلك باسمـه هو الذي خلقكم، وحفـظ نوح في السفينة من ميـاه الطوفـان»، ووقتهـا اقتربت منه جميع أسراب الطيـور، وأحاطت بـه، ووقتها صـدر الأمر إليهم بالصمت، وصمتت جميـع أنواع الطيور، فأصغت إلى كلمات رجل الـرب ذاك، لمدة نصف يوم دون أن تتحـــرك من تلك البقعـــة، وكـانـت طوال الوقت تنظر إلى وجــه الواعظ، وجـرى اكتشـاف هذه الواقعـة الرائعة من قبل الـرومان الذين كـانوا ذاهبين إلى المدينة أو آيبين منها، وعندمـا تكرر الشيء نفسه من قبل رجل الرب إلى حشـد الطيور، خـرج رجال الدين مع جمع من الناس من المدينة، وأعـادوا معهم رجل الرب مع كثير مـن الاحترام، ثم تمكن بزيت وعظـه التضرعي من تليين قلوبهم غير المثمـرة والقاسيـة وحـوّلهم نحو الأحسن، ثم بدأت شهـرته تنتشر في الخارج في جميع أرجاء ايطاليا، ولـذلك احتذى حذوه كثير من ذوي الأصل النبيل، وتخلوا عن العالم وعن شروره، ورغباته، وأخضعوا أنفسهم إلى رغباته، ومالبثت طائفة الرهبـان المذكورة أعلاه أن تضاعف انتشارها في جميع أنحاء العالم، وسكن رهبانها في المدن وفي القلاع، وهم يمضون في هـذه الأيام على شكل سبعة أو عشرة يبشرون بكلمـة الحياة في البلدات وفي كنائس الأبرشيات، لابل في حقول العمال، فهناك زرعوا جـذور الفضيلة، ومنحـوا إلى الرب كميـــات وافـرة من الثمار حتى مع الربا، ولم ينشروا بين المسيحيين فقط بذور كلمـــة الرب، وندى العقيـدة السماوية، بل إنهم ذهبـوا إلى مقاطعـات الشعـوب والمسلمين، يقدمـون

العظة حول الصدق، وبوسائلهم هذه حصلت كثير من هذه الأمم على مجد الشهادة.

احتشاد الناس عند موت الراهب المتقدم الذكر

وبعد وقت طويل، وبعدما قام فرانسيس رفيق الرب هذا، مع إخوانه، بالتبشير بانجيل السلام لسنوات كثيرة في مدينة روما والمنطقة المجاورة، وكمرابي جيد أعاد المبلغ الذي عهد به إليه، إلى المعطي مع فوائد مضاعفة كثيراً، بعد هذا كله جاءت ساعته ليفارق هذا العالم إلى المسيح، وليتسلم نتيجة لجهوده تاج الحياة مع الرب، حسبما وعد الذين يحبونه، وظهرت في اليوم الخامس عشر قبل موته جروح في يديه وفي قدميه،وكانت هذه الجروح تنزف الدم باستمرار، مثلما ظهر على مخلص العالم على الصليب عندما صلب من قبل اليهود، وقد انفتح جانبه الأيمن أيضاً وتلطخ بالدم حتى ان الفجوات الداخلية من قلبه باتت مرئية بوضوح، ولدى انتشار خبر هذا، تدفقت حشود كثيرة من الناس من الجنسين عليه، ودهشت أمام مثل هذه الحالة الغريبة، وكان بين الذين قدموا كرادلة، وبحثوا عن معنى هذا المشهد وسألوه عنه، وعلى هذا أجاب:

«لقد ظهر هذا المشهد بي، حتىٰ تتمكنوا أنتم الذين بشرت بينكم بأسرار الصليب، فتؤمنون به، وهو الذي من أجل الحفاظ على العالم تألم على الصليب من الجراحة التي ترونها الآن، ولكي تعرفوا أنني عبد له، وهو الذي بشرت به بينكم، وقد صلب، ومات، وعاد إلى الحياة، ولكي تزول جميع الشكوك، وبذلك يمكنكم أن تتمسكوا بهذه العقيدة حتى النهاية،وإن هذه الجراحة التي ترونها بي مفتوحة وتنزف دماً، سوف تندمل لحظة وفاتي، وتنغلق، وبذلك سوف تظهر مثل بقية جسدي»، وعلى الفور جرى تحريره من الجسد من دون أية آلام جسدية، أو معاناة، وتخلى عن روحه وسلمها إلى خالقه، وبعد موته لم تبق أية آثار

جراحة سواء في طرفه أو في يديه أو في قدميه، ودفن رجل الرب هذا في صومعته، وقبله الحبر الروماني بين أعداد القديسين، وأمر باتخاذ يوم وفاته عيداً يحافظ عليه ويحتفل به بكل مهابة.

بعض القوانين الجديدة التي عملها ملك انكلترا

عام ١٢٢٨م، فيه احتفل الملك هنري بعيد الميلاد بكل وقار في يورك، وانطلق بعد ذلك عبر الطريق المستقيم مباشرة إلى لندن، ووجد أثناء هذه الرحلة نقصاً في مقاييس القمح، والخمرة، والبيرة، ولذلك كسر بعضها، وأحرق بعضها الآخر، وأبدلها بمقاييس أوسع، وأمر بعمل الخبز أثقل وزناً، وقضى أن الذين سوف يخرقون هذا القانون سوف يتعرضون لغرامات ثقيلة.

وفي شهر كانون الثاني من العام نفسه، أنهى روجر دي ثيونيTheoney حياته قرب ردنغ، وكان فارساً شجاعاًمن أصل نبيل، وكان رالف الأخ الأكبر لهذا النبيل، غائباً آنذاك وقد رغب بالتحادث معهه قبل موته، وجاء مسرعاً ليراه، لكن قبل وصوله كان أخوه المحبوب قد مات، ولم يجد صوتاً فيه ولااحساس، وكان رالف حزيناً جداً لموت أخيه، وبدأ يصرخ وهو يبكي ويستحلف أخاه، مع أنه كان ميتاً، ليكلمه صدوراً عن العاطفة الأخوية، وبعدما جدّد صراخه وتوسلاته بحضور جنوده مع آخرين كثر، قال بأنه لن يتناول الطعام ثانية، مالم يتمكن من الحديث معه، وبناء على ذلك جلس الرجل الميت في الفراش، ولام أخاه بحدة لإزعاجه روحه، باستدعائه ثانية إلى الجسد، وقال:

«لقد رأيت العذاب الذي أنزل على الشرير، وسرور المبارك، ورأيت أيضاً بعيني العذاب الشديد الذي قضي عليّ أنا الانسان التعيس، الويل ثم الويل لي، لماذا ورطت نفسي بالمبارزات وأحببتهم بشكل كبير»؟ ثم

سأله أخوه: «أولن بناء عليه تحفظ»؟ وعلى هذا أجابه:

«سوف أحفظ لأنني عملت عملاً واحداً لتشريف مريم المباركة والعذراء الدائمة، فبذلك سوف أحصل على الخلاص»، وعندها قال رالف:

«أوليس من الممكن تخفيف العذاب الذي قضي به عليك —كما أخبرتني— بالأعمال الصالحة، والقداسات، والصدقات»؟ وعلى هذا رد روجر قائلاً: «ذلك ممكن» وهنا قال له رالف:

«إنني أعدك باخلاص بأنني من أجل خلاصنا وخلاص أجدادنا، سوف أبني بيتاً دينياً، وعندما سوف أملأه بالرهبان، سوف يدعون الرب باستمرار لتخليص روحك، وكذلك أرواح أجدادنا»، ثم قال روجر:

«إنني بحاجة ماسة لما وعدت به، لكن لاأريدك أن تعد بشيء أنت غير عازم على الوفاء به»، ثم ودع أخاه مع الآخرين الذين وقفوا هناك، ومن ثم لفظ روحه، ثم قام أخوه رالف في السنة نفسها ببناء دير في غربي انكلترا، ووضع فيه بعض الرهبان من طائفة السسترشيان، وأوقف على المكان أملاكاً كثيرة مع موارد كبيرة.

نقل رتشارد أسقف سالسبري إلى درم

وفي العام نفسه، جرى إلغاء انتخاب المعلم وليم سكوت Scott الذي كان قد انتخب أسقفاً لدرم، وجرى انتخاب رتشارد أسقف أوف سالسبري، ومن ثم نقل إلى تلك الأسقفية، وإثر ترقيته، انتخب كهنة سالسبري المعلم روبرت بنغهام Bingeham وكان كاهناً من رفاقهم، لأن يكون أسقفهم، والمسؤول عن أرواحهم، ونشب في العام نفسه خلاف بين رهبان كوفنتري وكهنة لتشفيلد Lichfield حول انتخاب أسقف، وقد تقرر بوساطة مرسوم محدد من قبل كنيسة روما،

قضى أنه ينبغي منذ ذلك الحين انتخاب الأساقفة بالتبادل والتناوب، بحيث يقوم الرهبان بالانتخاب أولاً، ولدى وفاته يتولى الكهنة انتخاب الأسقف التالي، وبناء على هذا الشرط، كان رئيس رهبان كوفنتري يمتلك دوماً الصوت الأول في الانتخاب، وبدا هذا المرسوم أنه ينتقص كثيراً من امتيازات الرهبان، الذين كانوا حتى ذلك الحين ينتخبون الأساقفة دون طلب موافقة الكهنة.

ودفع في هذا العام أيضاً امبراطور القسطنطينية دين الطبيعة، تاركاً وريثاً له صبياً صغيراً، لم يكن لائقاً لتسلم المقام الامبراطوري.

القرار الذي صدر بحق الامبراطور

وفي هذه الآونة بدا للبابا غريغوري أنه سمح لعصيان الامبراطور، ومعاداته للمسيح بوقت أطول مما ينبغي من دون عقوبة، وأخيراً، ولكي لايبدو أنه مثل كلب غير قادر على النباح، قام بناء على نصيحة كرادلته بانزال عقوبة الحرمان الكنسي بحق الامبراطور المذكور، وأمر بوساطة رسائل رسولية بنشر هذا القرار في مختلف أنحاء العالم، وكان من بين الذين أمرهم بنشره ستيفن رئيس أساقفة كانتربري، الذي كتب إليه كما يلي:

«من غريغوري، أسقف، إلى ستيفن رئيس أساقفة كانتربري، تحيات، إلخ: لقد وضع مركب بطرس الكبير في البحر المحيط الواسع، أو بالحري تعرض للعواصف وللأمواج بشكل مستمر، إلى حد أنه في بعض الأحيان لم يمتلك قباطنته ولامجذفيه الوقت للتنفس وسط الأمطار العاصفة المتدفقة، وإذا ماحاول في بعض الأحيان التوجه إلى أحد الموانىء بأشرعة كلها ممدودة أمام رياح لطيفة، تندفع الريح فجأة عليه من الجهات المعاكسة، وتنقض عليه بوساطة الذي يلفظ لهب النار، ويجري حمل السفينة نحو المياه العميقة، وإلى البحر المحيط الشاسع،

حيث تحيط بها الأمواج العاتية، ومع ذلك لم تُقهر بعد، لأن الرب، الجالس فيها، قد استيقظ بصراخ تلاميذه، فهزم الأرواح العاصفة، وأمر البحر والريح، فكان هناك هدوء، وأربع عواصف هي التي تهاجم هذه السفينة، ذلك أن جنود الكفار غير الأتقياء محتفظون ومتملكون للأرض المشهورة، التي صارت مقدسة بوساطة دم المسيح، وغضب الطغاة يتولى نهب الممتلكات الدنيوية، ويدمر العدالة، ويضع تحت قدميه حرية الكنيسة، ويسعى جنون الهراطقة إلى تمزيق ثوب المسيح، وللقضاء على تكريس الإيمان، ويتولى الضلال المخادع للرهبان المزيفين والأبناء بهز أحشاء أمهم وشق طرفها وتمزيقه، وهكذا يوجد في الخارج قتال، ورعب في الداخل، والسيف يقتل في الخارج، وفي البيوت يهدد الموت بمثل ذلك، وهكذا غالباً ماحدث أن كنيسة المسيح قد تغلبت عليها الاضطرابات، ففي الوقت الذي يخيل إليها أنها تربي الأولاد وتغذيهم، هي بالفعل تغذي في صدرها ناراً، وأفاعي، وثعابين، تسعى بأنفاسها إلى تدمير كل شيء، وكذلك بنهشاتها ولهبها، ولكي يتولى تدمير التنينات من هذا النوع، ويهزم العصابات المعادية، ولكي يلطف الطباع الصعبة، قام الكرسي الرسولي في هذه الآونة، وسط عناية كبيرة، بتربية واحد من التلاميذ، اسمه الامبراطور فردريك، الذي تسلم المسؤولية كما كانت من رحم أمه، ورضع من صدرها، وحملته على كتفيها، وهي التي غالباً ماأنقذته من أيدي الذين استهدفوا حياته، وهي التي ربته ورعته حتى وصل إلى كمال الشباب، مقابل كثير من المتاعب والنفقات، وارتقت به إلى مقام الملكية، ودفعته أخيراً حتى أوصلته إلى القمة، أي إلى المحطة الامبراطورية، وكانت واثقة أنه سوف يكون صولجان الدفاع وعصا الأيام الخوالي.

وعندما ذهب إلى ألمانيا،ليتولى مقاليد الحكومة وضع أمام عيني أمه، ماأعتقد أنه بشارة سعيدة، لكن حتى نكون صادقين أكثر، مايمكن عدّه

بشارة خطيرة، لأنه قام بمبادرة منه، وليس بناء على نصيحتنا، ومن دون معرفة الكرسي الرسولي، بتثبيت الصليب على كتفيه، وعمل تعهداً ونذراً ثابتاً، بأنه سوف يذهب لمساعدة الأرض المقدسة، وحصل بعد هذا على قرار بالحرمان الكنسي ضده شخصياً، وضد الآخرين الذين حملوا شارة الصليب، إذا لم ينطلقوا في وقت محدد، وطلب بعد هذا، وتلقى التحليل، لأنه أعطى أولاً يميناً بأن يلتزم بقرار الكنيسة حول هذه المسألة، وأضفى الكرسي الرسولي عليه كثيراً من النعم، ودعاه إلى التتويج، صدوراً عن هدف صحيح، حتى يتمكن بسرعة وبضمان، من الذهاب إلى الأرض المقدسة، وقام هو —ليس من دون رغبة— بناء على كثير من الوساطات، والرسائل الفخمة، باستخدام راية الصليب حتى هذه الآونة، وعندما تسلم التاج من يدي هونوريوس —سلفنا صاحب الذكرى الطيبة— في كنيسة القديس بطرس، جدد حمل الصليب من يدينا، حيث كنا آنذاك نشغل منصباً أدنى، وجدد بشكل معلن تعهده ونذره، وأقنع كثيرين بحمل الصليب، لأملهم بتأييده، وثبت موعداً من أجل عبور البحر، ثم إنه عقد بعد ذلك مؤتمراً مع الكنيسة الرومانية في فيرولي Veroli ووقتها أقسم بشكل علني أنه سوف ينطلق مع كل الأبهة وبما يليق به كامبراطور، وذلك في وقت محدد، تتولى كنيسة روما تثبيته، ثم انه قام بعد هذا في مؤتمر مماثل جرى عقده في فيرينتينو Ferentino فثبت تاريخاً لإقلاعه يكون بعد عامين من ذلك التاريخ، كما انه وعد أيضاً بقسم مهيب بأنه سوف يعبر البحر، وسيتزوج الابنة النبيلة لولدنا المحبوب كثيراً في المسيح، جون ملك القدس، وهي التي كانت أيضاً وريثة ذلك الملك المشهور، وقد أضاف أنه بهذه الوسائل سوف يربط نفسه بخدمة الأرض المقدسة، ليس مثل الحجاج الآخرين، بل مثل الداوية والاسبتارية، إلى الأبد.

وعندما —على كل حال— اقترب حلول الموعد المحدد، بدأ يعمل

تعليلات كثيرة، وأعلن أنه غير مستعد للذهاب وقدم أعطيات كثيرة ومنافع وهدايا، حتى يحصل على تأخير لمدة ثلاث سنوات، وبسبب أن الأمور كلها باتت متعلقة بهذا الأمير، بعد الكنيسة الرومانية، ولكي لايجري إلغاء المشروع، وتذهب الجهود التي بذلت من دون فائدة، عقد الكرسي الرسولي مؤتمراً مع عدد من الأساقفة ورجال آخرين، وناقش القضية، دون أن يسقط أياً من اشكالياتها وظروفها، ثم بعثنا بأخينا المبجل ب. P أسقف ألبانو، وغ. G الكاردينال الحامل للقب كاهن القديس مارتن، حتى يتوليا تأكيد الوعود التي عملها الامبراطور عن طواعية، بتقديم المساعدة الى الصليب، ثم انهما بناء عليه عقدا مؤتمراً مع عدد من مقدمي وزعماء ألمانيا في كنيسة القديس جيرمين Germain وهناك قام الامبراطور بمبادرة منه فأقسم أنه خلال عامين من ذلك التاريخ أي في عبور آب الأخير، سوف يزيل جميع الأعذار بالتأخير، وسوف يقلع، وسوف يبقي هناك لمدة عامين، على حسابه الخاص، ألف فارس لتقديم العون للأرض المقدسة، وأنه سوف يرسل في العبورات الخمسة المقبلة مائة ألف أونصة Ounces من الذهب لتدفع لأشخاص محددين هناك، ثم قام الكاردينال الكاهن، فأعلن بناء على موافقة الامبراطور، وبوساطة سلطان الكرسي الرسولي وأمام المقدمين الموجودين، وعلى مرأى من الناس المحتشدين في الجمعان الكنسي، الذي سوف ينزل بالامبراطور إذا لم يفِ بواحدة من الوعود المذكورة أعلاه.

وعلاوة على ذلك تعهد الامبراطور بجلب مائة سفينة وخمسين غليون، والاحتفاظ بهم فيما وراء البحر، وأنه إلى جانب هذا سوف يعطي في أوقات محددة عبوراً لألفي فارس، وأقسم بروحه أنه سوف يفي بهذه الوعود التي ذكرناها، وأبدى رضاه وموافقته على تنفيذ الحكم الصادر ضده وضد مملكته، إذا لم يقم بالوفاء بما وعد به، وأنت تعلم

الآن كيف وفى بهذه الوعـود، لأنه تحت ضغـوطه، وبسبب التماسـاته، توجّـه عـدة آلاف من الصليبيين، تحت عقـوبة الحرمـان الكنسي، قبل الموعـد المحدد، إلى ميناء برنديزي، وسحب الامبراطور عطفـه من جميع مـدن الساحل تقـريبـاً، ومع أنه غالبـاً مـاأنذر من قبل سلفنا ومن قبلنا نحن حتى يقـوم بجميع الاستعـدادات اللازمـة، وأن يقـوم باخـلاص بالوفـاء بكل مـاوعـد به، قـام بعـدم الاهتمام بهذه الوعـود التي عملهـا بوساطة رسله ورسائله الشخصية، إلى الكرسي الرسولي وإلى الصليبيين، وذلك بإرسال الامـدادات وبقية الأشياء المحتـاجة، ولم يول أدنى اهتمام لخلاصـه الشخصي، واحتفظ بالجيش الصليبي وأعـاقـه في أعلى حـرارة الصيف، لمدة طويلة، في مناخ قـذر ومميت، ولذلك هلك عـدد كبير من عـامـة الجنـد، وليس منهم فقط، بل هلك عـدد لابـأس به من النبـلاء وذوي المراتب، بسبب الأمراض، والعطش، والحرارة، ولأسباب أخرى كثيرة، ومات بينهم أسقفا: أنجو، وأوغسبورغ Augsburgh صاحبا الذكرى الطيبة، وحوّل الذين بقيـوا من الجيش اتجاهاتهم للعودة، ومات عـدد كبير منهم في الغابات وفي السهـول، والجبال، والكهـوف، والذين بقيوا مع الصعوبات، حصلوا على الاذن بالمغادرة، ومع أنه لم يكن هناك مـايكفي من سفن لحمل امـدادات الناس وخيـولهم كما كان قـد وعـد، قامـوا في يوم عيد العذراء المباركـة، عندما حان موسم العـودة، وأقلعوا مبحـرين، معـرضين أنفسهم للمخـاطر، مـن أجل اسم المسيح، وكـانوا يعتقـدون بأن الامبراطـور سـوف يتبع خطواتهم، لكنه خـرق وعـوده، وقطع الروابط التي ربط نفسـه بها، وألقى جانبـاً كل الخوف من الرب، ولم يقـدم الاحترام إلى يسوع المسيح، ولم يهتم بلوم الكنيسـة، وتخلى عن الجيش الصليبي، وترك الأرض المقدسة، عـرضة أمام الكفار، واستخف بتقـوى شعب المسيح، ولكي يسبب العـار لنفسـه وللمسيحيـة انصرف نحو مباهج مملكته، وغادر بعدما تعلل بأوهى الأسباب، مدعياً الضعف الجسدي، كما قال.

وتمعن الآن، وانظر هل هناك من حزن مثل حزن الكرسي الرسولي، وأمك، التي غالباً ماجرى خداعها بوحشية وغشها بابنها، الذي أرضعته، والذي فيه وضعت الثقة، بأنه سوف يتولى تنفيذ هذه المسألة، والذي عليه حشدت كثيراً من الآمال والمنافع.

وأخفى في الوقت نفسه نيته بالتخلي عن قضية الأرض المقدسة عندما تتوفر الفرصة، مركزاً انتباهه على نفي الكهنة، والسلب، والأسر، وأعمال إيذاء مضاعفة، أنزلها بالكنائس، وبالممتلكات الدينية، وبرجال الدين، ولم يستمع إلى كثير من شكاوى الفقراء، مع كل من سواد الناس والنبلاء، الذين صرخوا ضده، والذين —كما نعتقد— دخلت أدعيتهم إلى أذني المولى رب السماء.

ومع أن كنيسة روما قد توجب عليها حماية ابن لها، نشأ وسط مثل هذه العناية، وجرى الاهتمام به إلى مثل هذا الحد، إنها الآن تبكي من أجله، وقد قهرت من دون قتال، وتداعت من دون وجود عدو، ولعاره الكلي، انحطت بشكل مشين، وليس أقل من هذا كله أسى، هلاك الجيش الصليبي، الذي أخفق ليس بسبب سيوف الأعداء، أو لفقدانه للشجاعة، لكنه تبدد بسبب هذه المصيبة المرعبة، وهي أيضاً تبكي لأن الجزء المتبقي من العساكر، هم عرضة لمخاطر البحر، وللأمواج الهائجة، من دون دليل، أو قائد، أو مقدم، مساقين إلى حيث لايدرون، يقدمون القليل من الفائدة إلى قضية الأرض المقدسة، ونحن غير قادرين —تبعاً لتعهدنا— أن نقدم لهم مواساة أو مساعدة، بسبب الوضع العاصف للبحر، وشدة وسوء أوضاع الموسم، والكنيسة أكثر من هذا، إنها تبكي دمار الأرض المقدسة، التي كنا آملين أن تكون الآن قد أنقذت من أيدي الكفار، وأن يكون الجيش الصليبي —كما قيل— قد استردها، مبادلة لدمياط، لولا أنه منع مراراً أن يفعل ذلك بوساطة رسائل الامبراطور، وماكان هذا الجيش نفسه أسيراً في أيدي الكفار، لو تمت

أعمال تجهيز السفن وتزويده بها، كما كان قد وعد من قبله، وكان ذلك من الممكن صنيعه، لأن دمياط قد جرى تسليمها —كما قيل— إلى رسله ووضعت تحت عهدتهم، وتزينت بالنسور الامبراطورية، وقد جرى نهبها في اليوم نفسه بشكل وحشي، ثم بعدما جرى تدميرها بشكل مهين، تمت إعادتها من قبلهم إلى الكفار، وقد أضيف أيضاً إلى أسانا وخسائرنا المتقدم ذكرها الجهود والنفقات التي تكبدناها في دمياط، وذلك بالاضافة إلى المعنويات بين المسيحيين، وكذلك الوقت الذي بُدد، وقد جرى إنفاق هذا كله من دون محصلة، ولم يتوفر هناك بين أبناء الكنيسة ولا واحد من أبنائها يتولى مواساتها، أو ليمسح دموعها من على وجنتيها، وبما أنه بناء على ذلك قد سمع صوتها في رامه، وراحيل تندب مع حزنها الذي لايمكن شفائه، ليس فقط من أجل أولادها بل أيضاً من أجل جميع تلك المصائب، فكيف على هذا يمكن للمسيحيين التمنع عن البكاء والنحيب؟ وأي واحد من الأبناء، عندما يرى الدموع تتدفق من عيني الأم، سوف يتمنع عن سفح الدموع؟ وأي إنسان سوف لن يرحم أحزان الأم، ولن يشارك في حزنها العميق؟، وأي مسيحي سوف لن يتحرق، بناء على هذه الأحداث، بمزيد من الرغبة الأشد من أجل مساعدة الأرض المقدسة، حتى لايمكن ظهور الشباب المسيحيين، وقد انبطحوا تماماً وأصيبوا بالرعب بسبب هذه الأحداث غير المتوقعة؟ أوليس من المتوجب أن يكون الرجال الحكماء وأبناء يسوع المسيح، الأكثر اندفاعاً لمساعدة الأرض المقدسة، كلما رأوا أكثر الذي لايمكن رؤيته من المصائب والمآسي وقد تراكمت على الأب والابن، المخلص والمخلَص، وعلى المسيح وعلى شعب المسيح؟ وبناء عليه نظراً لازدياد تشوقنا لأن نأخذ هذا العمل ونضعه بين أيدينا ثانية، ولكي نقترح بوساطة خطط أكثر إحكاماً أن نجد سبلاً للخلاص وللعلاج، تتماشى مع حاجياتنا وتعوض الحزن الكبير الذي تحملناه، ويكون هذا عندما يري الرب نفسه غاضباً قليلاً

مع شعبـــه، ولايتلقى القـرابين من أيـديهم، ومع ذلك إن رحمة الرب لم ترفع بعـد، كما أن شفقته لم تضمحل كلياً، ذلك أننا نثق بشفقـة الرب، الذي سيرينا الطـريق الذي يمكن أن نصل عبره إلى محصلـة ناجحـة في هذه القضيـة، وهو سـوف يرسل رجالاً يرتضيهم مـن قلبه، هم سـوف يقودون الجيش الصليبي بقلوب نقية وأيدي نظيفة.

وبناء عليه إننا نلتمس من أخـوتكم بوساطة هذه الرسائل الرسـولية، ونأمـر أخوتكم، أن تقـوموا باخـلاص بعرض هذه القضـايا على الناس وعلى رجـال الدين الذين تحت رعـايتكم، واقناعهم كيما يعـدّوا أنفسهم وعقــولهم للقيـام بهذه المهــام، وأن تحثهم بشكل دائم، وأن تدعــوهم للانتقـام لهذه الاهانة التي لحقت بيسـوع المسيح، وبذلك عندمـا سيرى الكرسي الرسـولي، بعــد المزيد من المناقشـات المتبــادلة أن الوقت بات مناسبــاً ليطلب منهم مسـاعــدتهم، يمكنه وقتهـا أن يجدهم جــاهزين ومستعـدين، وعلى كل حـال، لكي لانبدو مثل كلـب أخرس غير قـادر على النبــاح، وأن لانظهـر أننا غضضنـا النظر عن هذا الرجل في عــدم تقـديـره للرب، من دون معـاقبتــه، وهو الذي ألحق أذى عظيماً بشعب الرب، إننـا نعلن —مـع أننا مكرهين— أمـــام النـاس أن الامبراطور المذكـور فــردريك هو محروم كنسياً، طالما أنه لم يعبر البحــر في الوقت المحـدد، ولم يرسل إلى هناك مبلـغ المال الذي جـرى الاتفـاق عليـه من قبل، كما لم يحضر إلى هناك الألف جندي، للبقاء لمدة عـامين على حسابه من أجل مساعدة الأرض المقدسة، لكنه تقاعس عن تنفيذ هذه الشروط الثلاثة الواردة في اتفاقيته، حسبما كان قد ورّط نفسه عن طواعية ووضع نفسـه في شبكة الحرمـان الكنسي المتقدم ذكـره، ونحن نأمـره أن يتجنب بدقة جميع الناس، ونأمركم أن تعلنوا شخصياً هذا القرار على الملأ، وأن تتدبروا نشره مـن قبل أساقفة الكنـائس الآخرين، ولسـوف نتابع السير ضده بحدة أعظم، إذا مااستدعى تمرده ذلك.

ونحن، عـلاوة على هـذا، نثق برحمة أبينا المقـدس، الـذي لايرغب بهلاك أي إنسـان، حتى يمكن لعيني عقله المظلم، عندما يدهن بمـرهم الكنيسة سـوف —إذا لم يكن متمرداً في قلبـه— أن يستنير، حتى يمكنه بذلك أن يرى عـريه، ويمكنه أن يتجنب العار الذي سقط فيـه، وبذلك يمكنه العـودة إلى الطبيب الصحيح، ويمكنه الرجعـة إلى أمـه الكنيسـة، وبتـواضع مـوائم صحيـح، وبتكفير نقي، يمكنه وقتهـا تلقي الخلاص، لأننا لانرغب أن يكون خـلاصـــه الأبدي في الرب معلقـاً، لأننا أحببناه من قبل باخـلاص عندمـا كنا في منصب أدنى. صـدر في اللاتيران، في السنة الثانية من حبريتنا».

كيف أعلن الامبراطور أنه حرم كنسياً بشكل غير عادل

عندما علم الامبراطور بأنـه قد حرم كنيسـاً ارتعب كثيراً، ولأن البابا كـان قد أمـر برسائله بنشر قـرار الحرمـان في جميع بلدان المسيحية، قـام الامبراطور المذكـور بالكتابة إلى جميع الملوك المسيحيين والمقـدمين يشكو إليهم بأن قرار الحكم قد صدر خطـأ بحقه، وأخبرهم واحداً واحداً بأنه لم يتخل عن الحج، ولم يفتعل ذلك بناء على تعليـلات تافهـة، كما اتهمـه البـابا بشكل كـاذب، بل جـاء ذلك بسبب خطير جـداً، وفي هذا المقـام يطلب شهادة الشاهد الصحيح الموجود في السماء، وعلاوة على هذا لقد أعلن أنه مـا ان يمنحـه الرب الصحة الجسـدية، حتى سيقـوم بتشريف مناسب بالوفـاء للرب بعهـد الحج، وبشكل يليق به كـامبراطور، وكـان من بين الملوك الكاثوليك الذين كتب رسائل إليهم مختـومة بخاتم ذهبي الملك الانكليـزي، وأعلن فيهم بأن الكنيسـة الرومـانيـة مصـابة بجنون الشره، ومن الشواهد على جشعها أنها لم تعـد راضية باستحواذ ممتلكات الكنائس بارادتها، بل إنها تجرأت حتـى على حـرمـان الأباطرة، والملوك، والأمـراء من مـواريثهم، وجعلهم يؤدون الجزية إليهـا، ويمكن للملك الانكليزي نفسه أن يجد مثلاً شاهداً على ماقاله في حالة أبيه الملك جون،

الذي أبقته الكنيسة المذكورة لمدة طويلة من الزمن حتى جعل نفسه ومملكته يؤدون الجزية إليها، ويمكنهم أيضاً أن يجدوا مثلاً آخر في قضية كونت طولوز، وكثيراً من المقدمين التي سعت لإبقاء أراضيهم وأشخاصهم تحت الحرمان من شراكة المؤمنين، حتى أنزلتهم إلى وضع التابعية، ونصح في نهاية رسالته جميع أمراء الدنيا، بالاحتراز ضد مثل هذا الشره الظالم، بمثل هذه الكلمات:

«انتبه عندما تحترق بيوت الجيران

فلربما يكون دورك هو المقبل».

كيف أثار الامبراطور روح الاضطهاد ضدّ البابا

أثار الامبراطور بوسائل الاثارة هذه روح الاضطهاد ضد البابا، وميراث الكنيسة الرومانية، وهاجم المدن واستولى على القلاع العائدة إليها، وعن ذلك أخبر البابا مندوب الكنيسة الرومانية في فرنسا بالرسالة التالي نصها:

شكاوى البابا ضدّ الامبراطور

«من غريغوري الأسقف، إلى المندوب الروماني بين الفرنسيين، تحيات، الخ، نرجوك الانتباه، لتعرف هل هناك أسى مثل أسانا، لأننا وجدنا في الابن الذي ربته الكنيسة الرومانية، ورفعته إلى أعلى المراتب، على أمل أن تجد فيه بطلاً ضد الكفار، مضطهداً قاسيا، وعدواً فعالاً، وعلينا أن لانمر بصمت بالأذى الأثيم، والدمار المريع الذي أنزله فردريك الامبراطور المذكور بشكل مستمر بالكنيسة وباللاهوتيين، فهو الآن يقوم بوسائل المسلمين وآخرين، بمهاجمة ميراث الكرسي الرسولي، والذي هو أكثر مقتاً، أنه يبرم الآن معاهدات مع السلطان ومع مسلمين آخرين، ويظهر اللطف نحوهم، ويبدي الكراهية المكشوفة نحو المسيحيين، إلى حد العمل على محق طائفتي الاسبتارية والداوية، مع أن

الآثار المقدسة للأرض المقدسة، قد حميت من قبلهما حتى الآن، لأنه بعدما خرقت المعاهدة بين المسلمين والصليبيين قد خرقت بناء على أوامره، قام المسلمون بغارة داخل أراضي الطائفتين المتقدمتي الذكر، وبعدما قتلوا عدداً كبيراً من أتباعهم أو أخذوهم أسرى، حملوا معهم كميات كبيرة من الغنائم، وبعد ذلك هاجمهم الداوية، وانتزعوا منهم بعضاً من الغنائم يصل ثمنها إلى ستة آلاف مارك، إنما الذي حدث هو أن توماس كونت أتري Aterrae وزير الامبراطور، هاجمهم بحدة عندما كانوا عائدين، وانتزع منهم بالقوة هذه الغنائم، وفي طاعة من الداوية لأحكام طائفتهم، لم يتجرأوا على رفع يد مسلحة ضد المسيحيين، وأعاد توماس المذكور هذه الغنائم إلى المسلمين، باستثناء بعض منها، قد قيل بأنه احتفظ بها من أجل استخداماته الشخصية، وإذا ماأخذ المسلمون أسلاباً من الصليبيين ليس فقط هو لايسعى لاستردادها، بل إنه لايسمح للصليبيين أن يأخذوا أسلاباً من المسلمين، وبهذه الوسائل صار المسلمون أكثر وقاحة وهاجموا بجرأة شعبنا، وخوفاً من شعبنا من الخيانة، كانوا أقل جرأة في مقاومتهم، وهكذا فإن إراقة الدم الصليبي تحولت في بعض الأحيان، لسوء الحظ لصالح كسب الامبراطور، ويقوم توماس المذكور —أو بالحري الامبراطور بحكم النيابة— الآن، باضطهاد الطائفتين المذكورتين أعلاه، وسلب منهما بالقوة بيوتهما وممتلكاتهما التي بين أيديهما، واظهاراً منه لاخضاعه لامتيازات الكنيسة، إنه يسعى الآن إلى حرمانهما من الامتيازات التي منحهما إياها الكرسي الرسولي، ومن ثم وضعهما تحت حكم الادارة الامبراطورية، كما أنه جمع مائة عبد كانوا لدى الاسبتارية والداوية في صقلية وأبوليا، وأعطاهم إلى المسلمين، دون أن يقدم أدنى تعويض عنهم إلى الطائفتين المذكورتين، وهكذا فإنه كما ظهر بشكل واضح من الظروف المتقدمة، هو يهتم أكثر، ويقدر عبيد محمد (صلى الله عليه وسلم) أكثر من تقديره لعبيد المسيح، وعليك أن تصدق حقيقة، أن

الامبراطور المذكور، كما قيل قد أنزل إلى البحر مع قلة من الفرسان، لقد أرسل جيشاً كبيراً من المسيحيين مع حشد من المسلمين، لمهاجمة ميراث الكنيسة، وبذلك قدم برهاناً واضحاً عن جميع آثامه، لكن كما قلت، لدينا الثقة، به، هو الذي أسس كنيسته على صخرة الإيمان، بأنه لن يسمح بالاطاحة بها، مهما كانت قوة الرياح وعنفها المرسلة ضدها، أو المياه التي تسعى لغلبتها، وبما أنه —بناء عليه— يتآمر بشكل شرير من أجل القضاء على الإيمان المسيحي، وعليه يصب جام غضبه، نحن محقون في أن نكون في أقصى حالات الرعب، ولكن مهما استمر ظلم هذا الرجل غير التقي وطال، لايمكنه السيطرة بذنبه، بل بالحري سوف يضيع فيه، وبناء عليه، إنه بموجب الواجب المفروض علينا —مع أننا غير جديرين بذلك— نحن مرغمون على منع نائب محمد (صلى الله عليه وسلم) هذا، من الاستمرار بصب جام غضبه على عبيد المسيح، لابل بالحري سينال الخزي في عدوانه، وسوف يرتفع شأن مجد الاسم المسيحي، ونحن نأمركم بهذه الرسائل الرسولية أن تذيعوا هذه القضايا في جميع أرجاء بلاد نيابتكم، وذلك من أجل أن يقف الشعب المؤمن بالمسيح بشجاعة في سبيل العقيدة، وتمسكاً بالدين الصحيح، ومراعاة له، وكأن كل واحد يعمل في سبيل الحفاظ على مصالحه، تماشياً مع التشجيع الذي سوف يستخدمه. صدر في اللاتيران، في الخامس من آب، في السنة الثانية من حبريتنا».

كيف ثار شعب روما بفتنة ضدّ الحبر الروماني

خلال الاحتفال بالفصح في السنة نفسها، ثار شعب روما بعصيان وتمرد ضد البابا غريغوري وطردوه من المدينة، ثم إنهم طاردوه إلى قلعة فيتربو، وهناك ازدادوا قوة فطردوه إلى بيروسيوم Perusium ولم يكن لدى البابا أية وسائل لمعاقبتهم، سوى حرمانهم كنسياً جميعاً.

وأرسل في العام نفسه ملك فرنسا حملة عسكرية كبيرة إلى بروفانس،

ضد كونت طولوز، لطرد ذلك النبيل من تلك المناطق، وقد سمعوا بأن الكونت كان وقتذاك في قلعة اسلامية، تابعة لممتلكاته، ولذلك قرروا محاصرته هناك، لكنه —على كل حال— أنذر مسبقاً بقدومهم واقترابهم، ولذلك أعدّ كميناً عند وصولهم، وخبأ نفسه مع قوة كبيرة في غابة، كان على الفرنسيين المرور بها، وهناك جلس ينتظر وصول أعدائه، وعندما وصل الفرنسيون إلى مكان الكمين، انقض الكونت مع قواته عليهم، ونشبت معركة شديدة فيها وقع بالأسر خمسمائة فارس فرنسي، وجرى أيضاً قتل عدد كبير، كما وقع بالأسر حوالي ألفي جندي، وبعدما جرى تجريدهم جميعاً وتعريتهم، أمر الكونت باقتلاع أعين بعضاً منهم، وبجدع آناف آخرين منهم، وببتر أقدام وأيدي بعضهم الآخر، وبعد ذلك سرحهم عائدين إلى مواطنهم، ليكونوا منظراً مشوهاً لبني جلدتهم من الفرنسيين، وأمر بالفرسان الأسرى فوضعوا في سجن مضيق عليهم، بعدما جرّدهم من جميع مقتنياتهم، ووقعت هذه المعركة في الثامن عشر من أيار قرب القلعة الاسلامية، وباختصار يمكن القول بأنه جرى ارسال حملات ثلاث خلال ذلك الصيف، وفي كل مرة جرت هزيمة الفرنسيين أو أسروا، وسجنوا من قبل الكونت المذكور.

موت ستيفن رئيس أساقفة كانتربري

في التاسع من تموز من العام نفسه، أنهى ستيفن رئيس أساقفة كانتربري حياته في عزبته في سلندون Slindon وقد دفن في كانتربري في السادس من الشهر نفسه «كذا»، وبعد دفنه حصل رهبان كانتربري على إذن الملك، وفي الثالث من آب انتخبوا المعلم وولتر دي هينزهام Heinesham وكان راهباً من كنيستهم، لكن عندما قدموه إلى الملك، وبعد مداولات طويلة، رفض استقباله على أسس محددة، وكان أول اعتراض ذكره إلى الرهبان هو أنهم قد اختاروا رجلاً كان بلا فائدة لنفسه وللمملكة، وكان الاعتراض الثاني هو أن والد المنتخب كان قد

أدين بالسرقة، وقد شنق بسبب ذلك، وكان الاعتراض الثالث هو أنه شارك —أي والده— بالعمل ضد الملك جون، في أيام التعليق من شراكة المؤمنين، علاوة على ذلك، اعترض الأساقفة المساعدون لكنيسة كانتربري، على انتخاب وولتر المذكور، لأنه كان من قبل قد اعتدى على راهبة، وأنجب منها أولاداً، وأضافوا إلى ذلك أن انتخاب رئيس أساقفة لايجوز أن يتم من دون حضورهم، وتمسك —على كل حال— رئيس الأساقفة المنتخب بالانتخاب، وعمل مرافعة، وأخذ معه بعضاً من رهبان كانتربري، ومثل بحضرة البابا، سائلاً إياه تثبيت انتخابه، وعند سماع البابا —على كل حال— بأن الانتخاب قد عارضه الملك والأساقفة، أجّل القضية، حتى يتمكن من معرفة الحقائق حول القضية، وعندما علم الملك مع الأساقفة بأن رئيس الأساقفة المنتخب قد ذهب إلى بلاط روما، وضعوا الاعتراضات المتقدم ذكرها كتابة، وأرسلوهم، ممهورين بخاتم الملك وبأختام الأساقفة إلى البابا، بعناية أسقفي روكستر وشيستر، وعيّنوا المعلم جون رئيس شمامسة بدفورد ليتولى معالجة هذه القضية، ثم ذهب هؤلاء الرسل إلى روما، وسلموا رسائل الملك والأساقفة إلى البابا، الذي قام بعد تفحص متمعن لهم، وبناء على نصيحة كرادلته، فحدد يوماً لظهور الفريقين أمامه، يكون اليوم التالي ليوم أربعاء الرماد، وذلك بغية التوصل إلى فض هذا الخلاف بشكل صحيح، وتقرير الأمر بشكل حاسم.

ووقعت خلال صيف هذا العام كله عواصف رعد وبرق مرعبة، حيث أشعلت النيران في عدد من الأبنية في أماكن متفرقة، وأهلكت الناس والماشية، وهطلت في الخريف التالي أمطار فيضان متواصلة، سببت كثيراً من الأذى في أيام الحصاد.

حول عصيان الويلزيين

وفي شهر آب من العام نفسه، قام الفرسان والجنود الذي تشكلت

منهم شحنة قلعة مونتغمري، الواقعة على الحدود الويلزية بغارات مع من كان من تلك المنطقة، في سبيل توسيع الطريق من القلعة، وتحويله إلى طريق أكثر أماناً، وذلك بسبب رجال العصابات الويلزية، الذين نهبوا وقتلوا المسافرين هناك، ولذلك زحفوا نحو المكان مع السيوف، والفؤوس، والهراوات، وأسلحة أخرى، وشرعوا بقطع الأشجار وإزالة الأسيجة والنباتات الشوكية، لجعل الطريق أعرض للمسافرين، ووصلت أخبار هذه الوقائع إلى مسامع الويلزيين، فقدموا في قوة كبيرة، وهاجموهم، وأرغموهم على التراجع إلى داخل القلعة، لكن ليس من دون وقوع قتلى من على لجانبين، ثم إنهم ألقوا الحصار على القلعة، لكن الحامية تمكنت على الفور من ارسال رسالة إلى هيوبرت، المسؤول عن العدالة، الذي كان الملك قد أعطاه مؤخراً تلك المرتبة مع القلعة، وبناء على ذلك زحف الملك شخصياً، نحو ذلك المكان، بكل سرعة، وأرغم الويلزيين على رفع الحصار، وكان الملك قد وصل مع قوة صغيرة، وكان متوقعاً التحاق نجدات به، وبالفعل مالبثت هذه النجدات أن التحقت به، وبناء عليه زحف مع كتلة كبيرة من الجنود نحو الغابة المتقدم ذكرها أعلاه، وقد قيل بأنها كانت واسعة جداً، تمتد نحو خمسة فراسخ، ومع أنها كانت واسعة، ومن الصعب كثيراً تدميرها بسبب كثافة الأشجار النامية فيها، لقد جرى تدميرها واحراقها بعد صعوبات جمة، ثم قاد الملك جيشه، وتوغل أكثر في البلاد، ووصل إلى مكان مسكون من قبل بعض الرهبان من طائفة الرهبان البيض، وكان اسم هذا المكان كريديا Cridia وقد أخبر الملك بأن ذلك المكان مستودع للأسلاب التي أخذت من قبل الويلزيين، وجرى، بناء على أوامر الملك، إلقاء النار في تلك الأبنية، فتحول إلى رماد، ونظر هيوبرت إلى الحصانة القصوى للموقع، فأمر —بناء على موافقة الملك— ببناء قلعة هناك، وقبل أن يكتمل هذا، جرى قتل أعداد من الطرفين، وعندما كان النبيل وليم دي براوس Braose يقوم بحملة جمع للأعلاف، اعتقل من قبل

الويلزيين، وحمل أسيراً، وحدث مثل هذا أيضاً إلى فارس، كان قد عمل مؤخراً فارساً بحزام من قبل الملك، فقد ذهب مع آخرين للاعتلاف، وعندما كان مع مرافقيه تمكن الأعداء من عزله وتطويقه، فانقض عليهم بشجاعة وصار في وسطهم، وبعدما قتل عدداً من الذين تصدوا له، سقط أخيراً قتيلاً، مع بعض الآخرين من جيش الملك، وكان عدد كبير من بين مقدمي جيش الملك متواطئين مع للويلين، مع أنهم تظاهروا بالوقوف إلى جانب الملك، ولهذا السبب، نقصت جميع أنواع الامدادات لدى الجيش، وقد أجبر الملك على عمل صلح مهين، وافق بموجبه على هدم القلعة، التي شارفت على الانتهاء، والتي احتاجت إلى جهد كبير، ونفقات عظيمة، وأن يجري الهدم على حساب الملك، وأن على للويلين أن يعطي إلى الملك مقابل أتعابه ونفقاته ثلاثة آلاف مارك، وما ان جرى التصديق على هذه المعاهدة، حتى عاد كل فريق إلى وطنه، وهكذا عاد ملك انكلترا مجللاً بالعار، فبعدما أمضى قرابة الثلاثة أشهر في بناء القلعة المذكورة، وبعدما بدّد مبلغاً لانهاية له من المال، عاد تاركاً النبيل وليم دي براوس أسيراً بين يدي للويلين، والسخرية التي ثارت من قبل كثيرين، صدرت بسبب أنه لدى الشروع ببناء القلعة، أعطاها المسؤول عن العدالة اسم «حماقة هيوبرت»، ولهذا عندما رأوها بعد كثير من المتاعب والنفقات قد هدمت إلى الأرض، قالوا جميعاً بأن المسؤول عن العدالة لم يكن فقط متنبئاً، لابل أكثر من متنبىء.

كيف وصل الامبراطور فردريك إلى الأرض المقدسة ورفع من شأن القضية الصليبية

وركب في العام نفسه الامبراطور الروماني فردريك سفينة عند البحر المتوسط، ووصل في عيد مريم العذراء إلى عكا، حيث خرج رجال الدين والشعب إلى استقباله، ورحبوا به بتشريف يليق برجل عظيم، لكن عندما اكتشفوا بأنه كان محروماً كنسياً، لم يمنحوه قبلة سلام، كما

أنهم لم يجلسوا على المائدة معه، بل نصحوه بأن يقدم ترضية إلى البابا، وأن يعود إلى جماعة الكنيسة المقدسة.

وكان الداوية والاسبتارية، لدى وصوله، قد حبوا على ركبهم، وبجّلوه، وقبّلوا ركبتيه، وأعطى أفراد الجيش الصليبي الذي كان حاضراً الحمد للرب على وصوله، وأملوا أنه بوصوله سوف يكون هناك خلاص بين أوساطهم، ثم اشتكى الامبراطور بمرارة، إلى الجيش كله، ضد الحبر الروماني، لأن هذا الحبر قد تفوه بشكل غير عادل بحكم أصدره ضده، وأكد أنه تأخر عن الزحف إلى مساعدة الأرض المقدسة، بسبب مرض شديد.

ولدى سماع سلطان القاهرة بوصول الامبراطور إلى سورية، بعث إليه بهدايا ثمينة من الذهب، والفضة، والحرير، والجواهر، والجمال، وعاج الفيلة، والحمير، وأشياء أخرى رائعة ليست موجودة في البلدان الغربية، وعند وصول الامبراطور إلى عكا، وجد الجيش الصليبي تحت قيادة: دوق ليمبورغ Limburgh وبطريرك القدس، ورؤساء أساقفة الناصرة، وقيسارية، ونربونه، والأسقفين الانكليزيين لوينكستر، واكستير، ومقدمي، الاسبتارية، والداوية، وطائفة اسبتارية التيوتون، الذين كان تحت قيادتهم الموحدة حوالي ثمانمائة فارس من الحجاج الحمر، وحوالي عشرة آلاف من الجنود الرجالة، تجمعوا من مختلف أجزاء العالم، وكلهم قاموا مدفوعين بشعور عام من التقوى، بالزحف الى قيسارية وقد شحنوا هناك بعض القلاع، وعلى هذا كان الذي بقي عليهم هو استرداد يافا، ومن ثم الزحف على المدينة المقدسة، ولدى معرفة الامبراطور بأوضاع الأرض المقدسة، وافق تماماً على خطة الحجاج، وبعدما عمل جميع الاستعدادات اللازمة للزحف نحو الأمام، انطلقوا خارجين يتقدمهم الامبراطور، ووصلوا في الخامس عشر من تشرين الثاني من دون إعاقة إلى يافا، ولكن بما أنه كان من غير الممكن بالنسبة

لكل إنسان أن يحمل براً من المؤن مافيه كفاية له شخصياً ولخيوله لعدة أيام، وذلك مع أثقاله، تمّ الحصول على سفن عند عكا من أجل حمل الإمدادات للجيش، ولكن هبّت عاصفة مفاجئة، وصار البحر هائجاً إلى حد أن الحجاج الصليبيين مكثوا لمدة سبعة أيام متواصلة من دون امدادات، وانتشر رعب هائل بين كثير منهم، وخيّل إليهم بأن الرب في غضبه سوف يدمّر شعبه، ويزيله من على وجه الأرض، لكن رحمة الرب التي لايمكن وصفها، والتي لاتسمح أن يمتحن أي إنسان أكثر من احتماله، قامت أخيراً بسبب شعبه المؤمن، وقد أمر الرياح والبحر، فكان هناك هدوء، ثم وصل عدد كبير من السفن إلى يافا، تحت قيادة الرب، وهي محملة بكميات هائلة من القمح، والشعير، والخمر، ومختلف أنواع الامدادات، ولذلك توفرت كميات وافرة من المؤن في الجيش، حتى كان الفراغ من إعادة بناء القلعة المذكورة.

اليهودي يوسف الذي مازال حياً ينتظر القدوم الأخير للمسيح

وفي هذا العام وصل إلى انكلترا، واحد من رؤساء الأساقفة في أرمينيا الكبرى، حاجّاً، ليرى الآثار المقدسة العائدة للقديسين، وليزور الأماكن المقدسة في تلك المملكة، وذلك مثلما فعل في ممالك أخرى، كما أنه قدم رسائل توصية، من صاحب القداسة البابا، إلى رجال الدين، وإلى أساقفة الكنائس، الذين كان مفروضاً عليهم استقباله، ومعاملته بالتقدير والاحترام المتوجبين، وبعد وصوله ذهب إلى دير القديس ألبان، حيث استقبل بكل الاحترام من قبل راعي الدير والرهبان، وفي هذا الدير، كان متعباً من جراء رحلته، ولذلك بقي هناك عدة أيام لإراحة نفسه مع أتباعه، وبدأت أحاديث بينه وبين سكان الدير، بوسائط تراجمتهم، وخلال ذلك تقصّى حول عدة أمور، تتعلق بالدين في تلك البلاد ومراعاتها للأمور الدينية، وروى أشياء كثيرة غريبة تتعلق بالبلدان الشرقية، وفي سياق الأحاديث سئل عما إذا كان قد رأى قط شيئاً أو

سمع عن يوسف، الذي كان موجوداً أثناء آلام ربنا، وتحدث إليه، والذي مايزال حياً، بمثابة برهان حول الإيمان المسيحي، وكجواب لذلك رد فارس كان في حاشيته، وكان هو ترجمانه، وقد تحدث بالفرنسية قائلاً:

«مولاي على معرفة جيدة بذلك الرجل، وقبل وقت قصير من أخذه طريقه إلى البلدان الغربية، تناول يوسف المذكور الطعام على مائدة مولاي رئيس الأساقفة في أرمينيا، وغالباً ماعقد أحاديث معه»، ثم سئل بعد ذلك عما دار بين المسيح وبين يوسف نفسه، وعلى ذلك ردّ قائلاً:

في أيام آلام يسوع المسيح، اعتقل من قبل اليهود، واقتيد إلى قاعة المحاكمة، إلى أمام بيلاطيوس الوالي، علّه يحكم عليه بناء على تهمة اليهود له، ولم يجد بيلاطيوس سبباً للحكم عليه بالموت، فقال لهم:

خذوه واحكموا عليه وفقاً لقانونكم، وازدادت صرخات اليهود، وبناء على طلبهم أطلق سراح بارأباس، وسلم يسوع إليهم لكي يصلب، وعندما كان اليهود —بناء على ذلك— يجرون يسوع، ووصلوا إلى الباب، قام كارتافيلوس Cartaphilus وكان بواباً للقاعة، ويعمل في خدمة بيلاطيوس، بضرب يسوع على ظهره وهو خارج من الباب، بيده بشكل غير تقوي، وقال له ساخراً: إذهب أسرع، يايسوع، اذهب أسرع لماذا أنت متباطىء؟ ونظر يسوع إليه بملامح حادة، وقال له: أنا ذاهب، وأنت سوف تنتظر حتى أعود، وبناء على ماقاله ربنا، فإن كارتافيلوس هذا، مابرح ينتظر عودته، وقد كان وقت آلام ربنا في الثلاثين من عمره، وهو كلما وصل إلى سن مائة سنة، يعود دوماً إلى العمر نفسه، كما كان عندما تألم ربنا، وبعد موت المسيح، وتأسس الإيمان الكاثوليكي، جرى تعميد كارتافيلوس هذا من قبل حنانيا «الذي عمّد أيضاً الرسول بولص»، ومنحه اسم يوسف، وغالباً ماسكن مابين قسمي أرمينيا، والبلدان الشرقية الأخرى، ممضياً وقته بين الأساقفة

والآخرين من رجال الكنيسة، وهو رجل له أحاديث قدسية، وهو متدين، وهو رجل قليل الكلام، ومتحرز في سلوكه، وذلك أنه لايتكلم مطلقاً، مالم يسئل من قبل الأساقفة ورجال الدين، ثم إنه روى بعض أخبار أحداث العصور القديمة، وبعض أخبار الأحداث أثناء آلام ربنا وقيامته، وحدثهم عن شهود القيامة، أي الذين قاموا مع المسيح، وذهبوا إلى المدينة المقدسة، وظهروا للناس، كما أنه تحدث عن عقيدة الرسل، وعن افتراقهم وتبشيرهم، وقد تحدث عن هذا كله دون ابتسامة، أو طيش في الحديث، وفعل ذلك مثله مثل رجل خبير بالحزن والخوف من الرب، ينظر دوماً بخوف إلى قدوم يسوع المسيح، خشية أن يجده يوم الحساب الأخير غاضباً منه، وهو الذي عندما كان على طريقه إلى الموت أثاره، لينتقم منه بشكل عادل، وتأتي إليه أعداد من الناس من مختلف أنحاء العالم لتتمتع بصحبته وبالحديث معه، وإليهم، إذا كانوا رجالاً موضع ثقة، كان يوضح جميع الشكوك حول القضايا التي كانوا يسألونه عنها، وهو يرفض جميع الهدايا التي كانت تقدم إليه، حيث كان راضياً بقليل الطعام وخفيف الثياب، وهو يضع أمله بالخلاص على أساس حقيقة أنه أذنب من خلال الجهل، لأن الرب قام أثناء آلامه بالدعاء لأعدائه بهذه الكلمات: «اغفر لهم ياأبي، لأنهم لايعرفون الذي يفعلونه».

كيف خلف المعلم روجر يوستاس أسقف لندن

وأنهى في هذا العام نفسه يوستاس أسقف لندن حياته، وانتخب الكهنة مكانه المعلم روجر، الذي كان لقبه الأسود، وكان كاهناً في كنيستهم، وقد قدم بعد ذلك إلى الملك، واستقبل منه من دون أية معارضة، وفي العام نفسه أيضاً، مات في شهر كانون الأول، غيوفري أسقف إيلاي، وقد دفن في الكنيسة الكاتدرائية في الثاني عشر من الشهر نفسه، وإثر موته اختار الرهبان باتفاق عام هيوج، راعي دير القديس

إدمـوند، الذي عندمـا قدّم إلى الملك، استقبل منه عـن طواعية، وجـرى منحه جميع ممتلكات الأسقفية.

كيف دعا نبلاء القارة ملك انكلترا للقدوم إليهم

عـام ١٢٩٩م، فيـه عقـد الملك هنري بلاطه في اكسفـورد، يوم عيـد الميلاد، وفيه كان نبلاء المملكة حضوراً، وإلى ذلك المكان قدم إليه رئيس أسـاقفـة بوردوكس، الذي كـان قـد أرسـل من قبل نبـلاء غـاسكوني، وأكوتين، وبواتو، وقد استقبل بتشريف مناسب من قبل الملك، واحتفل بعيـد الميلاد معـه، وقدم إليـه رسل خاصين أيضـاً من نورماندي، وقـد جاءوا جميعاً لقضاء العمل نفسه معه، وهو لصالح النبلاء المذكورة أسماء مقاطعـاتهم أعلاه، لدعوته للقدوم شخصيـاً إلى مناطقهم، ووعدوه أنهم جميعاً سوف يقـدمون إليه مع الخيول والسـلاح، ولسوف يتبعهم شعب المقاطعـات، ولسوف يقفـون إلى جانبه من دون إحجـام، وبذلك يمكنه استرداد مقـاطعـاته المفقـودة، وكـان هنري لبسـاطتـه لايعـرف كيف يتصرف، ولذلك تشـاورمع المسؤول عن العـدالة، الذي كان مستشـاره الوحيد، والذي نصحـه بتأجيل القضية حتى فرصة مناسبـة أكثر، ولما لم يكن بإمكان الرسل الحصول على أي جواب آخر عادوا إلى الوطن.

كيف كتب منجّمو طليطلة حول مايتعلق بالكواكب

وكتب في العام نفسه منجّمو طليطلة رسائل إلى جميع المسيحيين، كان محتواها كما يلي:

«إلى جميع الأتبـاع المخلصين للمسيح، الذين يمكـن أن تصلهم هذه الرسائل، من المعلم جـون داوود الطليطلي، ومن جميع الآخرين للمكان نفسه، أمـاني الصحة ومـواساة الروح القدس، إنه منذ سنـة مولانا ألف ومائتين وتسع وعشرين، سـوف تكون الشمس في شهر أيلول لمدة سبع سنوات في برج الميزان، وسوف تجتمع وقتها جميع الكواكب مع بعضها،

وسوف تكون الشمس وقتها في ذيل التنين، وسوف تكون هذه شارة على حوادث هائلة ومرعبة، ولسوف تكون هناك عواصف ريح خلال زحل والمريخ، وسوف يرتفع البحر ويصبح عالياً بشكل غير معتاد، وسيكون هناك تصادم كبير للرياح، وكأنها متواجهة مع بعضها، ولسوف تحجب وتظلم الدنيا كلها، وسيصدر عنها أصوات مرعبة، تسبب خفقان قلوب الناس وتجعلها مضطربة، وستدمر الأبنية والأشجار، وسوف ترتفع عدة وديان إلى مستوى الجبال، وسوف تدمر عدة مدن وتسويها الأرض، خاصة القاهرة، وبغداد، وميتاس Methas وطرابلس، وبشكل رئيسي المدن القائمة في مناطق الحصباء والمناطق الرملية، وأثناء حدوث هذه الأشياء سوف يكون هناك كسوف للشمس، ولسوف يكون لون الشمس من الساعة الثالثة من النهار حتى منتصف اليوم أحمر نارياً، مما يشير إلى سفك كبير للدماء، ولسوف يتبع هذا خسوف للقمر، له ألوان متمازجة، مما يشير إلى اضطراب بين الأمم، وسيكون بعد هذا معارك ومذابح في الشرق وفي الغرب، وستكون هناك هزات أرضية وزلازل في جميع أنحاء الدنيا، وسيكون هناك موتان كبير وخلاف في الأمم والممالك، وبين واحدة وأخرى، وسوف يموت امبراطور كبير، وبعد هذه العواصف سيبقى قليل من الناس أحياء، وسيتمتع الذين سيبقون أحياء بوفرة من الخيرات والثروة، وسيثور خلاف بين المسلمين، وسيتركون مساجدهم وسيلتحقون بالمسيحيين ويتحدون معهم، وبناء عليه عندما اكتشفنا نحن بشكل عام هذه الحقائق مع جميع القضاة وأصحابنا من المنجمين في طليطلة، رأينا من الموائم كشفها إليكم، ونفرض عليكم في سبيل التخلص من ذنوبكم، ومن أجل خلاص أنفسكم، أن تقوموا بنشرهم إلى أناس ليسوا على دراية بهم، وأن تعدّوا أماكن سليمة لأنفسكم للبقاء فيها، مادامت هذه الرياح مستمرة، فهي سوف تهب في شهر أيلول، ووقته سوف يكون من الصعب أن تجدوا على الأرض أماكن آمنة للسكنى، ولذلك أعدّوا

كهوفاً قائمة على سهول محاطة بجبال، وليست مغطاة بالرمال أو الحصى، وعليكم تغطية الكهوف بالألواح، ووضع تراب عليها، ولاتتركوا أشجاراً قريبة منهم، حتى لاتنغلق أبواب الكهوف بهم، وضعوا في هذه الكهوف أطعمة لأنفسكم كافية لمدة أربعين يوماً، واعلموا أيضاً أنه حول هذا الأمر جميع الفلاسفة والمنجمين في اسبانيا، واليونان، والعربية، وأرمينيا، والعبرانيين، لديهم الموقف نفسه والرأي مثلنا نحن أنفسنا، وسمعنا أيضاً أن ملك Manichin يقوم ببناء برج من مواد فخمة، ويساعده في عمارته جميع الجيران، وسوف يكون البرج من الاتساع مثل جبل، وقد أعلمنا أيضاً ملك صقلية بالمخاطر التي بدت لنا قريبة الحلول، وبناء عليه لم يبق من شيء أمام المسيحيين في الأزمة الحالية، سوى أن يسعوا جميعاً لإعداد أنفسهم من أجل توبة مثمرة، بوساطة اعتراف خالص ومتواضع، وبتكفير موائم، من أجل أنه عندما يأتي العريس، لايقابلونه بمصابيح فارغة، مثل العذراوات الحمقى اللواتي ليس لديهن زيت، واللائي —لاسمح الرب— سيجدون الباب مغلقاً في وجوههن، بل أن يكن مثل العذراوات العاقلات، مع مصابيحهن المليئة، واللائي يمكن أن يسمح لهن بالدخول مع العريس إلى احتفال العرس»، ونحن نعتقد واثقين أننا سوف نرى خلال السنوات السبع المقبلات أشياء من هذا القبيل سوف تقع، وهي سوف تقع حقيقة أو بما يشبه ذلك، ومن الممكن أن نجد بعض مايتكيف مع رسائل المنجمين هذه، لكن هذا سوف يأتي فيما بعد.

كيف عمل البابا غريغوري حرباً ضدّ فردريك الامبراطور الروماني

كان في هذه الآونة البابا غريغوري غاضباً، لأن الامبراطور الروماني فردريك قد ذهب إلى الأرض المقدسة، وهو رجل محروم كنيساً ومتمرد، وصار يائساً بشكل مطلق من توبته، والقيام بعمل ترضية يعيد بها

الوحدة إلى الكنيسة، وبناء عليه قرر —بعدما رأى عصيانه وتمرده— أن يطرده من مقامه الامبراطوري، وأن يعين واحداً آخر مكانه يكون ابناً للسلام ومطيعاً، وبما أن معلوماتنا حول هذه القضية، يمكن أن تصلنا بوسائط الآخرين، سوف نقدم هنا رسالة، من واحد اسمه الكونت توماس، كان الامبراطور قد عيّنه لدى مغادرته، ليكون بالتعاون مع آخرين وصياً ونائباً على الامبراطورية، وقد أرسلت رسالة هذا النبيل إلى الامبراطور حول هذه القضية، وقد حصلنا عليها من واحد من الحجاج:

«إلى فردريك السامي والقدير، الذي هو بنعمة الرب أغسطس وامبراطور الرومان، والملك الأعظم قوة لصقلية، من توماس كونت أوف أتيري Atterae تابعه المخلص والمطيع في جميع المجالات، تمنيات الصحة والنصر على أعدائه، بعد مغادرة جلالتكم، حشد غريغوري، الحبر الروماني، والعدو المكشوف لمعاليكم، جيشاً كبيراً، بوساطة جون دي بريين، الملك الماضي للقدس، وبعض الرجال الجريئين الآخرين، الذين عيّنهم مقدمين على حملته، وغزا أراضيكم، وأراضي رعاياكم، دونما تقدير للشريعة المسيحية، وقد قرر اخضاعكم بسيف الفولاذ، ذلك أن جون المذكور قد جمع جيشاً كبيراً من مملكة فرنسا، ومن البلدان الأخرى المجاورة، على أمل الحصول على الامبراطورية، إذا ماتمكن من التغلب عليكم، وقد زود عساكره بعطاء من خزانة الكرسي الرسولي، ثم قام جون المذكور مع المقدمين الآخرين، بغزو أراضيكم وأراضي رعاياكم، وقد ألقى النيران في الأبنية والبلدات، واستولى على المواشي وعلى غنائم أخرى، وجعل السكان أسرى لديه، بعدما عذبهم بمختلف الطرق، وقد أرغمهم على دفع غرامات ثقيلة، وهم لم يوفروا لاعمراً ولاجنساً، ولم يظهروا رحمة إلى أي انسان خارج الكنائس أو المقابر، وهم يستولون الآن على البلدات وعلى القلاع، دون المبالاة

بحقيقة أنك الآن في خدمة يسوع المسيح، وإذا ماأشار أي انسان إلى الامبراطور، فإن جون بريين هذا يعلن أنه لايوجد امبراطور آخر إلى جانبه نفسه، وأصدقاؤك أيها الامبراطور، الأكثر قدرة، قد اعترتهم الدهشة تجاه هذه الأشياء، ولاسيما رجال الدين، وهم يتساءلون، بأي نصيحة وبأي شعور يمكن للحبر الروماني أن يفعل مثل هذه الأشياء، ويشن حرباً ضد المسيحيين، وخاصة أن الرب قد قال لبطرس، عندما كان على وشك أن يضرب رجلاً بسيفه الفولاذي:

«ضع سيفك في غمده، لأن كل واحد يضرب بالسيف، سوف يهلك بالسيف»، ومثل هذا هم أيضاً يتساءلون بأي حق يمكن للذي يقوم كل يوم بحرمان اللصوص كنسياً، والمحرقين، للمسيحيين والمعذبين لهم، والذي يطردهم من حظيرة الكنيسة، يمكنه أن يفوض، ويعطي موافقته على مثل هذه الإجراءات، وبناء عليه، ألتمس منك أيها الامبراطور الأعظم قدرة، أن تتخذ مايلزم من إجراءات من أجل سلامتك، وأن تحفظ كرامتك حتى لاتتدنس بالمسائل المتقدم ذكرها، لأن عدوك جون دي بريين المتقدم ذكره، قد شحن جميع الموانىء الموجودة على هذا الجانب من الماء، بعدد كبير من الجواسيس المسلحين، من أجل أنه إذا ماحدث وعدت من حجّك، يقوموا باعتقالك، لاسمح الرب بذلك.

وفي العام نفسه، لدى اقتراب حلول أربعاء الرماد، التي كانت اليوم الذي جرى تحديده من أجل رئيس الأساقفة المنتخب لكانتربري، ولرسل الملك، لسماع القرار الحاسم للبابا، حول الذي ينبغي عمله بموجب الحق حول قضية الانتخاب، وعمل الرسل المتقدم ذكرهم، ولاسيما المعلم جون دي هوتون Houton مرافعات متوالية إلى البابا والكرادلة، لكنه وجد أنه من الصعب اقناعهم، فقد كانوا خائفين جداً من أن ينخدعوا في توقعاتهم، وبناء عليه عقدوا اجتماعاً بغيضاً حول القضايا المذكورة أعلاه، وأخيراً وعد ملك انكلترا البابا بعشر

جميع الممتلكات المتحركة في جميع انكلترا وايرلاندا، وأن يساند حربه ضد الامبراطور، على شرط أن يقف إلى جانب رغبات الملك وخططه، وكان البابا راغباً فوق كل شيء باذلال الامبراطور المتمرد، ولذلك فرح كثيراً تجاه هذه الوعود، واقتنع بالموافقة على شروطها، وبناء عليه أخذ مقعده في المحكمة اللاهوتية، وأصدر قراره كما يلي:

إلغاء انتخاب وولتر الراهب لرئاسة أساقفة كانتربري

«علمنا مؤخراً بالانتخاب الذي جرى في كنيسة كانتربري، لواحد من الرهبان اسمه وولتر، وقد علمنا بعد ذلك بأن الراهب المذكور قد ترافع عن نفسه ولصالحها من أجل انتخابه، كما سمعنا بالاعتراضات والاستثناءات التي عملت من قبل أساقفة انكلترا، ضد انتخابه المذكور، وضد سمات المنتخب، الذي مثل أمامنا بوساطة أسقفي كوفنتري، وروكستر، مع ابننا المحبوب كثيراً رئيس شمامسة بدفورد، ولقد عهدنا إلى إخواننا المبجلين: اللورد أسقف ألبانو، والمعلم توماس دي ستا سابينا Sta sabina والمعلم ب .P كاردينالنا، أن يقوموا بفحص لإمكانيات رئيس الأساقفة المذكور، وعندما مثل المنتخب المذكور أمامهم، وسئل عن نزول ربنا إلى الجحيم، أكان نزوله بالجسد، أو أنه كان محرراً منه، أجاب بشكل غير مرض، وأيضاً عندما سئل عن تكريس جسد المسيح عند المذبح، جاء جوابه غير صحيح، ومجدداً عندما سئل عن راحيل، كيف بكت من أجل أولادها، أجاب بشكل غير صحيح بأن ذلك «عندما ماتت أولاً»، وعندما سئل عن قرار الحرمان الكنسي إذا ما جرى التفوه به مضاداً للشريعة، فأجاب بشكل غير صحيح، وعندما سئل عن زواج، إذا مات واحد من الطرفين المتعاقدين غير مؤمن، فأعطى جواباً غير صحيح، وقد جرى فحصه حول جميع هذه النقاط بكل دقة من قبل الكرادلة، ونحن نقول إنه لم يجب فقط بلا مبالاة، ولكن بشكل غير صحيح، وبما أن كنيسة

كانتربري هي كنيسة جليلة، يلزمها رئيس أساقفة جليل، وأن يكون انساناً مستقيماً ومتواضعاً، وأن يكون واحداً مأخوذاً من صدر الكنيسة الرومانية، إنه بالنسبة لهذا المنتخب الآن نحن نعلن أننا لانراه جديراً بالمنصب، لابل أكثر من هذا إذا ماأردنا أن نتماشى مع العدالة بدقة، علينا أن نرغم على قول شيء أكثر: إنه غير موائم تماماً لترقيته إلى مثل هذا المقام العالي، ولذلك نحن نلغي الانتخاب كلياً، وهو الانتخاب الذي عمل بالنسبة له، ونحتفظ لأنفسنا بتزويد الكنيسة المذكورة [برئيس أساقفة]».

ترقية رتشارد إلى رئاسة أساقفة كانتربري

أما وقد جرى الآن إلغاء الانتخاب المذكور أعلاه على هذه الصورة، قام وكلاء ملك انكلترا مع الأساقفة المساعدين لكنيسة كانتربري، بحضور البابا، بابراز رسائل معتمدة من الملك ومن الأساقفة، فيها قدموا اقتراحاً لصالح المعلم رتشارد، مستشار كنيسة لنكولن، وأعلنوا أنه انسان صاحب حكمة عالية، وثقافة ممتازة، وأحاديث طيبة، وأنه سوف يكون مفيداً جداً لصالح كنيسة روما، وكذلك لصالح ملك ومملكة انكلترا، وهكذا بعدما أضفوا جميع أنواع المديح على شخصه، أقنعوا البابا والكرادلة بالموافقة على انتخابه، وبناء عليه بما أن رتشارد المتقدم الذكر لم يجر انتخابه، بل أعطي لتولي رئاسة الأساقفة، قام قداسة البابا بإرسال رسائل إلى الأساقفة المساعدين في كانتربري جاء نصها كما يلي:

«من غريغوري، أسقف، الخ، الخ، إنه بموجب رعايتنا بالمنصب الأسقفي الذي عهد به إلينا، ومنح إلينا من قبل الرب —مع أننا لانستحق ذلك— وبموجب وفرة سلطاتنا الرسولية، وبسبب المشاكل الطارئة التي تقوم يومياً، نحن مرغمون على العناية بجميع الكنائس وبإدارتها جميعاً، وعندما تقوم الحاجة، أن نزودها ونؤمن لها مايلزم

صدوراً عن العدالة واللطف، وبالرعاية الأبوية، وإنه بين جميع الكنائس المقدرة والكراسي المطرانية، نفتح أعين تقديرنا على كنيسة كانتربري، ونهتم بحاجياتها، على أساس أنها العضو الأكثر إجلالاً بين أعضاء الكرسي الرسولي، وبحكم كونها أم الكنائس، فإن الكرسي الرسولي ينبغي أن ينظر إليها بتقدير أعظم وبمزيد من الحظوة، وذلك مثلما سكبت الرحمة الربانية فائضاً من النعمة، على الاهتمامات الدنيوية والروحية لذلك الكرسي، وبالنسبة لهذه الكنيسة قام الأعظم سمواً، لدى توزيعه للأشياء بزرعها مثل فردوس النعيم، وجنة الطيبات، فيها أخرج شجرة معرفة الأشياء الخيّرة والشريرة، وذلك في إقامته للمقام المطراني، وشجرة الحياة في الطائفة المنظمة للرهبان، وفي نظام مراعاتهم لعقائدهم، وهي شجرة حملت ثمارها بأشخاص الأساقفة المساعدين، الذين يعطون بأعمالهم الصالحة بهجة للناظر، ويقدمون بعقائد الإيمان طعماً طيباً، وينعشون بالمواقف الطيبة الرائحة، ونبع من المكان نفسه نهر، تميز بدم توماس الشهيد الرائع، وهو الذي انقسم أثناء جريانه إلى أربعة فروع رئيسة، حيث أنها تعيد الحياة إلى الميت، والصحة للمريض، والحرية للعبد، والشجاعة إلى الخانع، وعندما بحثنا في تأمل دقيق معجزاته السامية، وجدنا البهجة غير العادية والنادرة للزرع اللاهوتي، وبما أن الوصي على هذا الفردوس، ستيفن صاحب الذكرى الطيبة، الذي كان مؤخراً رئيس أساقفة كانتربري، وكاردينالاً لدى الكنيسة الرومانية، وكان رجلاً متميزاً تماماً بمواهب العلم، مع النعمة السماوية، بما أنه أخذ من مشغل الجسد، ونقل —كما نأمل— إلى المتعة والهدوء في الفردوس السماوي، قام أولادنا المحبوبين في التجمع الديري في كانتربري بإعلامنا بانتخاب عملوه لواحد اسمه وولتر، وهو راهب من رهبان كانتربري، وبعدما بحثنا —بناء عليه— في فضائل ذلك الانتخاب، وعملنا فحصاً لمعارف ذلك الشخص، قمنا بناء على تقدير صحيح للعدل، بإلغاء ذلك الانتخاب، ورأينا من الموائم أن نضع في

ذلك الفردوس، لإدارته وحراسته، المعلم رتشارد مستشار لنكولن، وهو رجل صاحب كرامة، وواحد منفرد بحياته ومعارفه، وفهمه، وتكوينه، قد عمل وفق مثال الرب وشبيهاً له، وواحد متميز بصحة عقيدته، امتلك نفس الحياة، وذلك بناء على بينات إخواننا الذين عرفوه، أثناء متابعته لدراسته، واكتشفنا مما بيّنه إخواننا: أسقفا روكستر وكوفنتري، وعدد كبير آخر، أنه رجل صاحب تعليم متميز، وحديث طيب، وشهرة بدون شوائب، وحفاظ جيد، ومحافظ غيور على أرواح وامتيازات الكنيسة، ولقد قمنا بناء على نصيحة إخواننا، وبحضور الأسقفين المتقدم ذكرهما أعلاه، بتعيين رتشارد المذكور، رئيساً لأساقفة كانتربري ومديراً، وبناء عليه إننا في هذه الرسائل الرسولية نحذر ونحث اخوتكم، بحكم كونكم أبناء النعمة والتقوى، أن تستقبلوه، وتصغون إليه، في سبيل تشريف الرب، والكرسي الرسولي، وكنيسة كانتربري، وأن يكون ذلك بتواضع، وتقوى مخلصة، وأطيعوه بتواضع واخلاص بمثابة كونه أبيكم، ومدبر أرواحكم، ولأنه أسقفكم المطراني، ويتوجب عليكم بالحقيقة الابتهاج بالرب، لأنه بالتعاون مع نعمته التي وقت جهودنا وأعانتها، وهو تزويد محمود قد عمل لصالح تلك الكنيسة المترملة. صدر، الخ».

كيف أعيدت الأرض المقدسة إلى الامبراطور فردريك

وزار في العام نفسه ربنا يسوع المسيح، منقذ العالم ومواسيه، شعبه برحمته، وفي استجابة لصلوات الكنيسة العالمية، أعاد للشعب المسيحي بشكل عام، وإلى الامبراطور الروماني فردريك بشكل خاص، مدينة القدس، وجميع البلاد التي كرسها الرب مخلصنا، وابن الرب، بدمه، وهكذا كانت الارادة الطيبة لربنا نحو شعبه، الذي أعلى من شأن الرحمة ورفعها إلى الحياة السرمدية، ولعمله انتقاماً على الشعوب، ولاحداثه تمزقاً بين قبائل المسلمين، لأن سلطان مصر، كان في ذلك الوقت، يعيش

وسط لجّة من الحروب الداخلية الشديدة التي قامت ضده من جميع الاتجاهات، ولأنه لم يعد بإمكانه الصمود أمام حروب أخرى، كان مرغماً على عمل هدنة لمدة عشر سنوات مع الامبراطور، وأعطى الأرض المقدسة إلى الصليبيين من دون سفك للدماء، وهكذا أمكن بحرب جيدة أرسلت من قبل الرب، خرق سلام سيء، وإذا ما أردنا فهم هذا اللطف للرحمة اللاهوتية، واظهاره بشكل أوضح للقارىء، علينا قراءة الرسالة التالية، التي هي إحدى رسائل الامبراطور الروماني، وكان قد أرسلها، مختومة بالذهب، إلى هنري ملك انكلترا.

رسالة الامبراطور إلى الملك الانكليزي

حول القضية المذكورة أعلاه

«من فردريك، الذي هو بنعمة الرب، أغسطس امبراطور الرومان، وملك القدس، وصقلية، إلى صديقه المحبوب كثيراً، الملك هنري، ملك الانكليز، تمنيات الصحة، والعواطف المخلصة، ليفرح الجميع ويبتهجوا بالرب، وليقم الذين هم مستقيمون في القلب بتمجيده، الذي لكي يجعل قدرته معروفة، لم يتفاخر بالخيول والعربات، بل حصل الآن على مجد لنفسه بندرة في جنوده، حتى يعرف ويفهم أنه عظيم بجلالته، مرعب في عظمته، ورائع بخططه نحو أبناء الناس، يغير المواسم بإرادته، ويجمع قلوب الشعوب المختلفة مع بعضها، لأنه خلال أيام، وصل ذلك العمل الى نهاية، بوساطة معجزة، وليس بوساطة قوة، وهو عمل لم يستطع عدد كبير من الزعماء وحكّام العالم، وسط حشود من الأمم، إنجازه في الزمن الطويل الماضي حتى الآن بالقوة، مهما كانت كبيرة، ولابالرعب، ولكي لانبقيك معلقاً لوقت طويل بوساطة رواية طويلة، نحن نرغب في إعلام قداستكم، بأننا نضع ثقتنا بأن يسوع المسيح، هو ابنه، الذي بخدمته نحن معرضون أجسادنا بتقوى عظيمة جداً، وكذلك حياتنا، وهو لن يتخلى عنا في هذه البلدان النائية وغير المعروفة، وهو

سيقدم إلينا على الأقل نصيحة صحيحة، ومساعدة من أجل تشريفه، وحمده، ومجده، فبجرأة انطلقنا باسمه من عكا في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني، وعبرنا أخيراً، ووصلنا سالمين إلى يافا، عازمين على إعادة بناء القلعة في ذلك المكان بحصانة مناسبة، حتى يكون فيما بعد الوصول إلى مدينة القدس المقدسة ليس فقط أسهل، بل أيضاً أسلم، وأكثر أماناً بالنسبة لنا ولجميع الصليبيين، وبعدما صرنا هناك واثقين تماماً باعتمادنا على الرب، انشغلنا في يافا، وانصرفنا نحو الاشراف نحو بناء القلعة، والاهتمام بقضية المسيح، حسبما تتطلب الضرورات، ووفقاً لما تقتضيه واجباتنا، وفي أثناء انشغال حجاجنا بهذه المسائل، تكرر تبادل الرسل بيننا وبين سلطان مصر، لأنه كان مع السلطان سلطان آخر اسمه الأشرف Xaphat وهو أخوه، وكانا معاً مع جيش كبير عند غزة، على مسافة سفر يوم واحد عنا، في اتجاه آخر لمدينة شكيم، التي تعرف بشكل عام باسم نابلس، وهي قائمة في سهل، وكان ابن أخوه، سلطان دمشق، مقيماً مع عدد كبير من الفرسان، والجنود على مسافة سفر يوم واحد عنا وعن الصليبيين، وأثناء سير المفاوضات من أجل عقد معاهدة بين الطرفين على كلا الجانبين، من أجل استرداد الأرض المقدسة، تجلى أخيراً يسوع المسيح ابن الرب من الأعلى على صبرنا التقوي، ومثابرتنا الخاشعة في سبيل قضيته، وفي عطفه الرحيم علينا، جعل سلطان مصر يعيد إلينا المدينة المقدسة، وهي المكان الذي سار فيه المسيح بقدميه، وحيث عبد المؤمنون الصادقون الأب بالروح وبالحقيقة، وفي سبيل إخباركم عن كل واقعة من وقائع هذا التسليم كما حدثت، ليكن معلوماً من قبلكم أنه ليست المدينة المتقدم ذكرها وحدها هي التي سلمت إلينا، بل المنطقة كلها الممتدة من هناك إلى ساحل البحر، قرب قلعة يافا، وذلك في سبيل أن يمتلك حجاج المستقبل ممراً حراً وآمناً للذهاب إلى الضريح المقدس والعودة منه، على شرط أن مسلمي ذلك الجزء من البلاد —بما أنهم يقدرون الأقصى تقديراً عظيماً— يمكنهم أن

يأتوا إلى هناك ويترددوا عليه بقدر ما يختارون، على شكل زوار للتعبّد هناك، وفقاً لعاداتهم، هذا ولسوف نسمح إليهم بالقدوم من الآن فصاعداً بالعدد الذي نأذن به، من دون سلاح، كما أنهم لا يمكنهم الإقامة بالمدينة، بل خارجها، وأن يغادروا فور تأديتهم لعباداتهم، وعلاوة على هذا أعيدت مدينة بيت لحم إلينا مع جميع المنطقة القائمة بين القدس وبين تلك المدينة، وكذلك مدينة الناصرة، والمنطقة كلها القائمة بين عكا وتلك المدينة، وجميع منطقة تورون، التي هي واسعة جداً، ومفيدة جداً للصليبيين، وأعطيت مدينة صيدا إلينا أيضاً مع جميع السهل وأحوازها، وسوف تكون أكثر قبولاً للصليبيين وأكثر منفعة، مثلما كانت حتى الآن بالنسبة للمسلمين، وخاصة أنه يوجد ميناء جيد هناك، ومن هناك من الممكن نقل كميات كبيرة من الأسلحة والحاجيات إلى مدينة دمشق، وفي الغالب من دمشق إلى القاهرة، ومع أنه مسموح لنا بموجب المعاهدة بإعادة بناء مدينة القدس، وأن نجعلها في أحسن حالة كانت عليها قط، وكذلك قلاع: يافا، وقيسارية، وصيدا، وقلعة القديسة مريم التابعة لطائفة التيوتون، والتي بدأ رهبان هذه الطائفة بعمارتها في المنطقة الجبلية لعكا، والتي لم يسمح للصليبيين قط بفعله أثناء أية هدنة سالفة، إنه مع ذلك، غير مسموح للسلطان، حتى نهاية الهدنة بينه وبيننا، والتي مدتها المتفق عليها عشر سنوات، بترميم أو إعادة بناء أياً من حصونه أو قلاعه، وهذا كان في يوم الأحد الثامن عشر من شباط الذي مضى مؤخراً، الذي هو اليوم الذي قام فيه المسيح ابن الرب من الموت، والذي هو بناء على قيامته يرعاه المسيحيون بوقار، ويحتفلون به ويعدونه مقدساً بشكل عام في جميع أرجاء العالم، وتأكدت هذه المعاهدة بتبادل الأيمان بيننا، وحقاً أشع هذا اليوم، على الجميع بشكل مفيد، وهو اليوم الذي فيه تغني الملائكة بحمد الرب:

«المجد للرب في الأعالي وعلى الأرض السلام، وحسن الارادة نحو

الناس»، وفي اعترافنا بمثل هذا اللطف العظيم، وهذا التشريف الجليل، الذي جاء فوق رغباتنا،وعلى عكس آراء كثيرين، والذي أضفاه الرب برحمته علينا، من أجل رحمته الدائمة المشهورة، ومن أجل أن نتمكن شخصياً أن نقدم إليه قرابين شفاهنا الملتهبة، ليكن معلوماً أننا في اليوم السابع عشر من شهر آذار من هذه الخمس عشرية الثانية، قمنا نحن برفقة جميع الحجاج الذين تبعوا معنا باخلاص المسيح ابن الرب، بالدخول إلى مدينة القدس المقدسة، وبعدما تعبدنا الضريح المقدس، جرى في اليوم التالي تتويجنا بحكم كوننا الامبراطور الكاثوليكي، وهو أمر منحنا إياه الرب القدير من عرش جلالته، عندما رقانا بنعمته الخاصة وجعلنا الأعلى بين أمراء العالم، وهكذا إنه أثناء دعمنا لشرف هذا المقام العالي، الذي عائد إلينا بموجب حق السيادة، بات واضحاً أكثر فأكثر إلى الجميع بأن يد الرب قد صنعت هذا كله، وبما أن رحمته فوق جميع أعماله، يتوجب على المؤمنين بالعقيدة السليمة، أن يعرفوا منذ الآن، وأن ينشروا في الطول والعرض في جميع أرجاء الدنيا، بأنه الذي هو المبارك دوماً قد زار شعبه وخلصه، وأنه رفع عالياً صوت الخلاص في بيت عبده داوود، وقبل أن نغادر مدينة القدس، قررنا بفخامة أن نعيد بناء أبراجها وأسوارها، ونوينا أيضاً أن نرتب الأمور بحيث تسير خلال غيابنا ليس بعناية أو رعاية أقل، أثناء سير الأمور كما لو كنا حاضرين شخصياً، ومن أجل أن تكون رسالتنا الحالية مبعث سرور كامل في جميع الأنحاء، وأن تكون نهايتها سعيدة مثل بدايتها، ولكي تبتهجوا بعقلكم الملكي، نرغب بأن يكون معلوماً لديكم، وأنتم حلفاء لنا، أن السلطان قد تعهد أن يعيد إلينا جميع الأسرى، الذين —بموجب المعاهدة المبرمة بينه وبين الصليبيين— لم يطلق سراحهم عند فقدان دمياط منذ بعض الوقت، وأيضاً الأسرى الآخرين الذين وقعوا بالأسر بعد ذلك. صدر في مدينة القدس المقدسة، في اليوم السابع عشر من شهر آذار، من عام تجسيد ربنا، ألف ومائتين وتسعة وعشرين».